الفصل الأول:

التعريف بأهل الذمة في الأندلس وموقف الإسلام منهم.

أولا: تعريف أهل الذمة .

1- لغة واصطلاحًا.

أ- لغة.

ب- اصطلاحًا.

2- موقف الإسلام من أهل الذمة.

ثانيا: أهل الذمة في الأندلس.

1- التعريف بالأندلس .

2- عناصر المجتمع الأندلسي.

3- علاقات المسلمين مع غير المسلمين ومكانة أهل الذمة في المجتمع الأندلسي.

أ- العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين.

ب- مكانة أهل الذمة في المجتمع.

مقدمة الفصل:

عاش أهل الذمة من اليهود والنصارى منذ الفتح العربي للأندلس مع المسلمين كطبقة اجتماعية متميزة في ظل العهد والأمان الذي جاء به الإسلام وبحكم ما تمتع به أهل الذمة من تسامح المسلمين وحمايتهم عرفوا نوعا من التجانس مع جميع عناصر سكان الأندلس وحتى مع الوافدين في الفتوحات وقد ساهموا في بناء الدولة الأموية، فتبوؤوا مراكز متقدمة ومناصب مرموقة وربطوا علاقات مختلفة.

أولا: تعريف أهل الذمة:

1- لغة واصطلاحا:

أ- لغــة: الأهل في اللغة هم القرابة والعشيرة.[1]

ويقصد بلفظ أهل الذمة في اللغة العربية من الذمام والمذمَّة، وهي بمعنى الحــق والكرامة.[2] وأهل الذمة لغة هم الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم ورجل ذمي: معناه رجل له عهد، والذُّمة: العهد المنسوب إلى الذِّمةُ.

وقيل: الذّمَةُ أهل العقد وقيل أيضًا: الذُّمة الأمان.

وقوم ذمَّةُ: معاهدون أي ذو ذمَّة وهو الذم وأذّم له عليه: أخذ له الذمــة والذمامــة الحق كالذّمة وقال ذو الرملة: قولك ذممته إذا عتبته والثاني لا تلغــى مذمومــة يقــال أذممته إذ وجدته مذموما.[3]

الذمة هي العهد والأمان والضمان.[4]

ب- اصطلاحا:

هم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن اتخذ كتابا سماويا[5]، كالسامرة[6]، وذلك لقوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[7]، ويلحق بأهل الذمة المجوس والصابئة.[8]

أهل الذّمة هم الذين دخلو في ذمة المسلمين.

---

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م، ج1، ص 253.
(2) - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ط3،(تح): محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005م، ص 1110.
(3) - ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص 59.
(4) - الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م، ص 65.
(5) - ابن قدامة: المغني،ط2 ،(تح): عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب، الرياض، 1986م،ج9، ص 546.
(6) - قوم يسكنون بيت المقدس، اثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من جاء بعدهم. راجع الشهرستاني: الملل والنحل، ط3،(تح): أمير علي مهنا ، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1993م ،ج2، ص 260وص 261.
(7) – الآية، 105 من سورة البقرة.
(8) - المقدسي: الشرح الكبير،(تح):عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، 1995م، ج10، ص83.

قال رسول الله "ص": ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران.[1] لقول النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب".[2] وذلك في أخذ الجزية.[3]

وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، سموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا في ذمة المسلمين.[4]

اليهود:

هاد الرجل: أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: "إنا هدنا إليك"، أي رجعنا وتضرعنا.

وهم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، يعني أن ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابا، بل صحفًا وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختصاصا آخر سوى سائر الكتب، وقد اشتمل ذلك على أسفار.[5]

النصارى:

أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام المبشر به في التوراة، وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ودلائل باهرة مثل إحياء الموتى إبراء الأكمه والأبرص وقد أوحى الله تعالى إليه في المهد، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.[6]

---

(1)- البخاري: صحيح البخاري، (تح): محمد زهير بن ناصر الناصر، دار دوق النجاة، 1422هـ، ج1، ص 31، وهذا حديث صحيح.

(2) - مالك ابن أنس: الموطأ، (تح): محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زيد ابن سلطان نيهان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 2004م،ج1،ص 395، وهذا حديث صحيح.

(3) - في اللغة من جزى الشيء أي كفاه وأجزى الأمر عنه أي قام مقامه وأغنى عنه، والجزية ما يؤخذ عن الذمي. راجع ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص280وص281.

(4) - الخربوطلي: الاسلام وأهل الذمة، ص 65.

(5) - الشهرستاني: المصدر السابق، ص 250 وص 251.

(6) – نفسه: ص 262وص 263.

تستعمل النوازل والأجوبة مفاهيم ومصطلحات عديدة للتعبير عن أهل الذمة بالنسبة للنصارى فإن هذه المفاهيم بحسب أهميتها كالتالي: النصارى، الذميون، المدجلون، العجم، الكفار، الروم، العلوج، المعاهدون، المملوكون، الحشم، الصقالبة، أهل المهادنة والمجوس.

بالنسبة لليهود فإن المفاهيم قليلة وهي لا تتعدى في النوازل ثلاثة مفاهيم اليهود، الذّميون[1]، الإسلاميون.[2]

2- موقف الإسلام من أهل الذمة:

شرع عقد الذمة في السنة التاسعة من الهجرة، وذلك حين نزلت آية الذمة والمتضمنة عقد الجزيّة، وكان ذلك بعد فتح مكة.[3] لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[4].

أما الحكمة من مشروعية هذا العقد فهي ترك منازعة غير المسلمين والتعامل معهم بالحسنى والموعظة الحسنة[5]، وقد أجاز الإسلام عقد العهد والذمام معهم، إذ هم من أهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم لأن الكتاب قد رفع عنهم.[6]

تقضي أحكام الإسلام بأنه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام، فمن استجاب فرضت عليه الجزية[7]، هذه الأخيرة هي ضريبة موضوعة على أهل الكتاب هؤلاء الذين يتمتعون بالأمن والحماية في ظل الحكومة الإسلامية، تؤخذ من الرجال الأحرار والعقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبّي ولا مجنون ولا عبد لأنّهم أتباع وذراري، أما مقدارها في رأي آخر ذكره

---

(1) - عبد الله الزيدان وآخرون: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز،السعودية،1996م،ص210.

(2) - أولئك اليهود الذين اعتنقوا الإسلام واحتفظوا ببعض عاداتهم وتقاليدهم وظلوا منعزلين عن بقية المسلمين. راجع : نفسه:ص 210.

(3) - البلاذري: فتوح البلدان، (تح): رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص 49.

(4) – الآية، 29 من سورة التوبة.

(5) - الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (تح): علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج9، ص 433.

(6) - الشهرستاني: المصدر السابق، ص 247.

(7) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 109.

الطرطوشي:[1] "قال مالك يؤخذ من الموسر أربعون درهما ومن الفقير دينار وعشر دراهم".[2]

وبحكم ما تمتع به أهل الذمة من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم كانوا يدفعون الجزية كل واحد منهم بحسب قدرته وكانوا ثلاث طبقات، تدفع الدنيا منهم اثني عشر درهما، والوسطى أربعة وعشرون والعليا ثمانية وأربعين درهما في السنة أو دينارا أو دينارين أو ثلاثة في البلاد التي عملتها ذهب.[3]

كانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني فكان لا بدّ أن يدفعها الرجل القادر على حمل السلاح ولا يدفعها ذوو العاهات ولا المترهبّون ولا أهل الصوامع، وقد ظلت الجزية بوجه عام عند المقدار الذي فرضته الشريعة، وإنما كانت تتغيّر تغيرا يسيرا بحسب تغير العملة، وقد أمرت الشريعة بعدم القسوة في تحصيلها ونهت عن إتباع الأساليب القديمة القاسية من تعذيب أو تكليف لأصحابها ما لا يطيقون، وإنّما أجاز الفقهاء حبس أهل الذمة حتى يؤدوها.[4]

وكذلك يذكر دوزي[5] أنّ الجزية قدرها ثمانية وأربعون درهما عن الغنيّ وأربعة وعشرون عن المتوسط واثنا عشر عن العامل، وكانت الجزية تقسم على أقساط يدفع كل منها في نهاية كلّ شهر قمرّي بيد أنها رفعت عن النساء والأطفال والرهبان والمتسوّلين والمرضى.[6]

---

(1) - ينسب الى طرطوشة وهو أحمد بن أيمن الطرطوشي رحل الى المشرق وسمع من محمد بن عبد الرحيّم كان فاضلا عابدًا . راجع: أبو محمد الرساطي و ابن الخراط الاشبيلي: الأندلس في اقتباس الانوار،(تح):إميليو مولينا خاشينتو بوسك، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1990م، ص 149.

(2) -حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 199وص200.

(3) - آدم ميتر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ط5، (تر): محمد عبد الهادي ابو زيد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د-ت، ج1، ص ص 96- 101.

(4) - نفسه: ص 101.

(5) - هولندي الجنسية يرجع إلى إقليم دويزي تنوعت إصدارته ما بين مخطوط يحققه وموضع يبحثه وكتاب يؤلفه ودراسة ينشرها ومحاضرة علمية يلقيها درس بجامعة لندن فالتقى بالعالم اللغوي (فايرس) فأخذ عنه دراسة النحو العربي وتلقى على يده العبرية والسريانية وظهر ميله الشديد للشعر العربي أول عمل له dictionnaire détaillé de noms vétement سنة 1845م. راجع: رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس،(تر):حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1994م ،ج1، ص 12.

(6) – نفسه: ج1، ص48.

وتوضّح معاملة المسلمين للمسيحين من خلال عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير[1]، أمّا حياة الذّمي فإنها عند أبي حنيفة وابن حنبل تكافئ حياة المسلم وديته، أما عند مالك[2] فدية اليهودي أو النصراني دية المسلم وعند الشافعي ثلثها.[3]

إذا ما تم كتابة عقد الذمة أصبح للذمي حقوق وترتبت عليه واجبات، وهي أن يدفعوا الجزية على الموسر ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط ثلاثة وعشرون درهما وعلى الفقير اثنا عشرة درهما مع تقديم الزيت والخلّ والطعام اللازم للمسلمين.[4]

وكان يشترط على أهل الذمة في عقد الجزية شرطان أحدهما مستحبّ والآخر مستحق، ويشمل هذا الأخير ستة أمور ويجب على أهل الذمة تحقيقها وتطبيقها وهي كالآتي: إحترام القرآن والرسول "ص"، عدم القدح في الإسلام، ألاّ يصيب مسلمة بزنا ولا بنكاح، وألاّ يحوّلوا مسلما عن دينه وألاّ يعينوا أهل الحرب.

أما الشرط المستحب فيشمل أمور ستة: فعليهم لبس الغيار وشدّ الزنّار، أن تكون مبانيهم اقل ارتفاعا من مباني المسلمين، ألاّ يسمع المسلمين أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو إظهار الصلبان والخنازير وإخفاء دفن الموتى وعدم النواح عليهم، وعدم ركوب الخيل مع السماح بركوب البغال والحمير، وكان على أهل الذمة ألّا يحدّقوا (أي أن يجعلوا للبيعة أو الكنيسة حديقة تحيط بها)، ولكن يجوز بناء ما تهدّم من بيعهم وكنائسهم القديمة كما كان على فلاحي الذمة العناية بالطرق والجسور والأسواق وضيافة أبناء السّبل[5].

أمّا الحقوق فتمثلت في الكفّ عنهم والحماية لهم ولأهل العهد الأمان[6]، حيث طلب الإسلام من المؤمنين زيادة من التلطف ومزيد من اظهار المودة وحسن المعاملة

---

(1) - أنظر الملحق رقم 01.

(2) - هو مالك بن أبي عامر بن الحارث ينسب الى قبيلة ذي الأصبح اليمنية ولد سنة 93هـ، نشأ في بيت انشغل بالعلم الحديث واستطلاع الآثار وأخبار الصحابة، بلغ عدد مشايخه اكثر من تسعمائة شيخ، أهم تلاميذه، عبد الله بن وهب، عبد الرحمان بن قاسم...الخ، من مؤلفاته: الموطأ، رسالة آداب الى الرشيد، توفي 179 هـ، دفن بالبقيع .راجع: مالك بن أنس: الموطأ، ص ص 3- 5.

(3) - آدم ميتز: المرجع السابق، ص 87.

(4) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 111.

(5)- نفسه: ص 111وص112

(6)- نفسه: ص112.

والمجادلة[1]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾.[2]

وكان أهل الذّمة يدفعون سوى عشر التجارة والجزية بينما هم معفون من الصدّقات، وكانت الجزية تساوي ما يدفعه المسلمون من صدقة وكثيرا ما نقض أهل الذمة ما اشترطه المسلمون فكان المسلمون لا يقتلونهم أو يغنموا أموالهم بل كانوا يكتفون بطردهم من بلاط المسلمين.[3]

عقد أهل الذمة هو عقد يتولاه الإمام أو نائبه من جانب والذمّي من جانب آخر، على أن يترك القتال من الجانبين مؤبدا، وهو عقد لازم بحق المسلمين، أما بحق الذمي فهو غير لازم ويمكنه نقضه في إحدى الحالات:

أ- أن ينقضه الذميّ بإسلامه.

ب- إذا لحق الذّمي بدار الحرب.

ج- إذا غلب العدو على موضع فحاربه المسلمون عليه.

ولفظ العهد أو الدلالة على قبول الجزيّة كأن يدخل رجل من أهل دار الحرب أرض الإسلام ويقيم فيها أكثر من سنة.[4]

والجزية نص مقدر بالشرع تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، ولا تؤخذ من مرتد ولا دهري ولا عابد وثن، وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبى ذراريهم ما لم يقاتلوا ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها.[5]

ثانيا: أهل الذمة في الأندلس:

1- التعريف بالأندلس:

شبه جزيرة الأندلس مصطلح جغرافي كان يدّل في العالم الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا أي اسبانيا والبرتغال الحديثتين[6]. أما هذه

(1) - مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذهب، ط11، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، 1996م، ص 50.
(2) – الآية، 46 من سورة العنكبوت.
(3) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 112.
(4) - أسعد حمود: محنة العرب في الأندلس، ط2، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988م، ص 160وص161.
(5) - الماوردّي: الاحكام السلطانية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص 124- 127.
(6) - جورج كولان: الأندلس،(تر):إبراهيم خورشيد وآخران ، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1980م، ص58.

النسبة أي –إيبيريا– نسبة إلى أمة قديمة يقال لها الإيبير (Ibére) أقدم أمة عمرت البلاد[1].

وكلمة الأندلس ليست عربية فقد اشتقها العرب من كلمة فاندالوسيا وهو اسم مأخوذ من قبائل الفاندال الجرمانية التي استقرت في تلك المناطق[2]، وهؤلاء الفاندال أو الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا بوغاز جبل طارق وقيل أيضا أنهم من أصل سلافي أو صقلي.[3]

أ- الموقع الجغرافي للأندلس:

الأندلس عبارة عن شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوربا[4]، تحيط بها المياه من كل جوانبها ما عدا الجانب الشمالي الشرقي حيث تفصلها جبال البرتات –أي المنافذ– (البيرينية البرانس) عن فرنسا[5]، وقد قسمها علماء الجغرافية من العرب إلى موّسطة وشرق وغرب[6]، فهي ثلاث جزائر عامرة آهله، اصقلية تقابل المغرب، واقريطش تقابل مصر وقبرص تقابل الشام[7]، ونجد البحار تحيط بها من كل ناحية.[8]

وقد وصف كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة بلاد الأندلس، فقد ذكر الرازي، وهو أحد مؤرخي الأندلس المتقدمين (ت344هـ/851م): "إنّ الأندلس تقع في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التي هي ربع معمور الدنيا، فهي موّسطة البلدان، كريمة البقعة بطبع الخلقة، طيبة التربة، مخصبة القاعة..."، وقال أبو عبيد البكري (ت487هـ/946م) الذي يعتبر من أوائل الجغرافيين الذين أنجبتهم الأندلس: "الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظيم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"[9]. فبلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم

---

(1) - شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية ،المطبعة الرحمانية، مصر،1936م، ج1، ص31.
(2) - شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، دار الاشبيلية، سوريا،2006 م، ص6.
(3) - شكيب أرسلان: المرجع السابق،ص32.
(4) - أنظر ملحق رقم 2 .
(5) - حسين دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138ه-422م/755ه-1030م)،مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة،1994 ، ص337.
(6) - الفيكونت دوشاتويريان: رواية آخر بني سراج، (تر):شكيب أرسلان، مطبعة المنار،مصر،1925م،ص72.
(7) - المقديسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دارصادر، بيروت،1906م،ص15.
(8) - مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس،(تح وتر):لويس مولينا، د-ن، مدريد،1983م،ج1،ص9.
(9) -حسين دويدار: المرجع السابق، ص335وص336.

والظاغن[1]. تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الأحوال.[2]

ب- الموقع الفلكـــي:

تقع الأندلس بين خطي عرض °43 27 25 و °35 59 30 شمالا، وخطي طول °9 30 و °3 19 شرقا، ومسطحها حوالي 229.000 ميل مربع.[3]

2- عناصر المجتمع الأندلسي:

بعد الفتح العربي لبلاد الأندلس اختلط العرب والبربر الفاتحين بسكان البلاد الأصليين من القوط والإسبان واليهود وامتزجوا، لذلك نجد المجتمع الأندلسي كان مزيجا من عناصر بشرية مختلفة، اختلطت بالتزاوج وتميّزت بإقامة علاقات.

أ- العـــرب:

كان القيسيين واليمنيين أول العرب الذين وصلوا الأندلس ضمن جيش موسى بن نصير[4]، ثم جاءت بعدهم دفعة أخرى مع الحر بن عبد الرحمان الثقفي سنة 94هـ[5]. ومنذ ذلك تتابعت الهجرات وجلب عبد الرحمان الأول[6] جند سوريين استقروا فيما بعد في جنوب وغرب الأندلس وسمي أولئك الوافدين مع ابن نصير بالبلديين في حين سمي الوافدون مع بليح بن بشير[7] الشاميين.

استقر العرب بصفة عامة في المدن القريبة من السهول الخصبة خصوصا في منحدر الوادي الكبير وقرب منحدرات أنهار التجه وشنيل وإبرة قرب مرسيا واستقر العدنانيون القيسيون[8]

---

(1) - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،(تح): عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م، ج4، ص 211.

(2) - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص 262.

(3) - جورج كولان: المرجع السابق، ص 61.

(4) - ولد في الشام عام 19هـ في خلافة عمر شارك في فتح قبرص وكان أحد قواد الأسطول الإسلامي والى افريقية، راجع: طارق سويدان: تاريخ الأندلس المصور، دار الإبداع الفكري، الكويت،2005م، ص 24.

(5) - أمير الأندلس وليها بعد مقتل عبد العزيز بن موسى نصير وإليه ينسب بلاط الحر في قرطبة. راجع: الزركلي: الأعلام، ط15، دار الملايين، بيروت،2002م، ص172.

(6) - ولد في دمشق 113هـ وتوفي في 172هـ استطاع أن يؤسس الدولة الأموية في الأندلس بعد أن سقطت في المشرق. راجع: طارق سويدان: تاريخ الأندلس المصور، ص 86.

(7) - قائد شجاع ،دمشقي من ذوي الحزم سيره هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش كثيف إلى إفريقية. راجع: الزركلي: الأعلام، ص73.

(8) - أحمد شحلان: التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي التسامح الحق، دار أبي رقاق، الرباط، 2006م، ص 13.

حول طليطلة.[1]

ب- البربـــــــر: (الأمازيغ):

هم سكان شمال إفريقيا أو ما يعرف ببلاد المغرب هذا وقد كان البربر من أسبق العناصر البشرية التي دخلت إلى الأندلس فقد كان الجيش الفـاتح لهـا بقيـادة واحـد منهم.[2]

كما أنّ معظم هذا الجيش كان منهم حيث كانوا سبعة آلاف في البداية، ثم ما لبثوا أن زادوا بعد ذلك إلى اثني عشر ألفا، وقد كان قرب بلادهم من الأندلس ممّا سهل من توالي هجراتهم إليها واستقرارهم.[3]

وقد كانت زناتة مع الطلائع الأولى للفتح ثم تبعتها صنهاجة أيام ضـعف الدولـة الأموية وازداد هذا العنصر سلطة في عهد المرابطين، حيث احتلت قبائلهم كثيرا مـن المدن وخصوصا الثغور منها[4]. ومع دخولهم الأندلس في جماعات كبيرة واسـتعربوا واتخذوا أنسابا عربية[5]، وكانوا ينزلون بصفة خاصة في المناطق الجنوبية والغربيـة من الأندلس نظرا لشبهها ببيئتهم في المغرب.

ج- المولـــــودون:

يقصد بهذا الجيل الذي ولد من آباء مسلمين سواء كانوا عربًا أو بربر وأمهـات أعجميات سواء كن اسبانيات أو غير ذلك[6]، وشكلت هذه الطبقة بمرور الزمن الغالبية العظمى من سكان الأندلس[7]. وجمهرتهم من الفلاحين أقنـان الأرض ومـن العبيـد المعتقين، ولم يكن إسلام بعض منهم صحيحا، لكـن الإسـلام كـان يحـرّرهم مـن العبودية[8]. وقد مثل هذا الجيل قوة في طليطلة ومدينة اشبيلية[9]، حيث كانوا يعملـون

---

(1) - مدينة منيعة جليلة ليس في الجزيرة أمنع منها ولها نهر عظيم يقال له دوير. راجع: اليعقوبي: البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1890م، ص 135.

(2) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 28.

(3) - نفسه: ص29.

(4) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 14.

(5) - حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، د-م، 2004م، ص 318.

(6) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص ص 29- 42.

(7) - آدم ميتر: المرجع السابق، ج1، ص 82.

(8) - شاكر مصطفى: المرجع السابق، ص 32.

(9) - مدينة بالأندلس جليلة أصل تسميتها إشبالى معناه المدينة المنبسطة بناها يوليش قيصر. راجع: الحميري: الروض المعطار في جنة الأقطار،(تح): إحسان عباس، ،مكتبة لبنان، لبنان،1975م، ص 58.

في التجارة وقد نال كثير من المولدين مناصب قيادية في مختلف العصور الأندلسية الإسلامية.[1]

وقد كان هذا الجيل يشكل على عهد أمراء بني أمية الكثرة الغالبة من السكان، وعامة الناس ومنهم تكونت جماهير الأندلس وأهل البيوتات، وقد كان جل أمراء الأندلس وخلفاءها من أصل مولد تجرى في عروقهم دماء غير عربية وبخاصة الدم الإسباني.[2]

ومع أن هؤلاء المولدين كانوا يعتنقون الإسلام ويعيشون حياة المسلمين الوافدين على الأندلس، إلاّ أن الكثيرون منهم كانوا يتعصبون لأصولهم الإسبانية الأولى ويتحالفون مع بني جلدتهم من العجم أو النصارى ضد العرب والبربر معا.[3] وقد مكنهم حدهم وقوتهم واقتصادهم من أن يصيبوا حظا من الرفاهية.[4]

د- الصقالبة (الموالي):

ينقسم الصقالبة[5] من حيث الشريعة الإسلامية إلى نوعان مولى العتاقة وهو الرقيق الذي أعتقه صاحبه، ومولى الموالاة وهو الحليف.

والموالي في نظر مؤرخي التاريخ الإسلامي: هم المسلمون من غير العرب وكانوا في الأصل أسرى حرب وأصبحوا في منزلة الرقيق ثم أسلموا فأعتقوا وأصبحوا موالى[6]، والبعض منهم كان من أسرى القراصنة الذين يطوفون مياه الأبيض المتوسط[7].

---

(1) - عبد الله الزيدان: المرجع السابق، ص 166.
(2) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 43.
(3) - نفسه : ص 44.
(4)- رينهرت دوزي: المرجع السابق،ج1، ص 57.
(5) - كلمة صقلب أو صقلاب تعني الرجل الأبيض وقيل الرجل الأحمر على التشبيه بألوان السقالبة وقد استمد العرب مقومات عدة تخص الصقالبة وقد استعملت بصيغة الجمع في الأندلس وأطلقت على الشعوب السلافية عامة لأن أقوام الجرمان والأسكندنافيين في أوربا كانوا يبيعون رجالهم ونسائهم إلى العرب في الأندلس فأطلقوا عليهم هذه التسمية. راجع: عصام كاطع داود : "موقف المسلمين من أهل البلاد الأصليين في الأندلس"، دراسات تاريخية ، حزيران 2014م، جامعة البصرة كلية التربية للبنات، العدد 16، ص131.
(6)- الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 101.
(7) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 14

وكان الموالى يحملون دائما أعباء الحرف والمهن وقامت على أكتافهم النهضة الزراعية والصناعية والتجارية، كما وقف الموالى وراء العرب في حروبهم المختلفة وكانت لهم مشاركة فعالة في الفتوحات الإسلامية.

كما تمتع الموالي في العصر الأموي بنظام اجتماعي يعد أفضل من مثيليه في الدولتين البيزنطية والفارسية[1]. كما كان الصقالبة يبلغون أقصى القوة إذا كان الحاكم شديد الضعف.[2]

"...ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجة وجليقة وخدم الصقالبة... والصقالبة قبل من ولد يافث... فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون...[3]، والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقة وإفرنجة وإنكبردة وقلورية وبهذه الديار من سبيهم الكثير، باق على حاله..."[4].

وكثر عدد الصقالية الموالى أيام الخلافة، وصار لهم ذكر وصيت، يقول ابن عذارى المراكشي.. وكانوا أبهى حلل المملكة واخص عددها عني الخلفاء بجمعهم والاستكثار منهم.[5]

وقد ألف هؤلاء حزبا هاما وطائفة قوية تعرف بالأمويين نظرا لموالاتهم لبني أمية. كما عرف منهم بنو سيل وهم بيت من أكبر بيوتات الموالى الأمويين من أهل الشام، وكان أول من دخل الأندلس منهم عبد السلام بن يسيل الرومي وكان أبوه سيل مولى لبني أمية.

وقد لعب الموالي دورا هامًا في تاريخ الأندلس حيث اعتمد عليهم بنو أمية كثيرا وقلدوهم أهم المناصب في دولتهم لتفانيهم في الإخلاص لها، فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد والقضاة،[6] وحملت عن البيت الأموي جانبا كبير من المسؤولية.[7]

---

(1) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 107.
(2) - رينهرت دوزي: المرجع السابق، ج2، ص 181.
(3) - ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 105وص 106.
(4) - نفسه: ص 106.
(5) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 14.
(6) - حسين دويدار: المرجع السابق،ص ص30-32.
(7) - حسين مؤنس: فجر الأندلس، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، ص 445.

هـ- اليهـود:

شكل اليهود عنصرا من عناصر السكان في المجتمع الإسباني قبل الفتح الإسلامي وقد عانوا كثيرا من اضطهاد الرومان، وعند دخول العرب الأندلس عامل اليهود معاملة طيبة[1]، فقد رأوا من عدالة الفاتحين ما أراحهم من تعنت القوط[2]، فكانوا عونا للعرب في حركة الفتح وكانوا يؤلفون غالبية سكان بعض المدن.[3]

ولما استقر المسلمون في الأندلس تخلص اليهود من ظلم واضطهاد الحكام الذين سبقوهم فقد منحهم المسلمون حريات لم يكونوا يحلمون بها منها: حرية العمل والتنقل والتملك، بالإضافة إلى الحرية الدينية، وكان لذلك أثر كبير في توافد يهود أوربا بكثرة نحو الأندلس بعد فتح المسلمين لها.

وكان اليهود يتجمعون في عدّة مدن بالأندلس خاصة غرناطة التي كانت تضم أكبر جالية يهودية ولذلك سميت بغرناطة اليهود ومنها أيضا قرطبة وطليطلة واشبيلية وسرقسطة والبيرة... كانوا يحتكرون بعض المهن والحرف التي كانت تدر عليهم أموالا طائلة.

وكذلك كان لليهود في الأندلس دورا هاما في الحياة الاقتصادية وفي الحركة العلمية، حيث كان منهم المترجمون ومنهم الأطباء والفلاسفة والشعراء مثل حسداي بن شبروط طبيب الخليفة الناصر.

كما لعبوا دورا في السياسة في زمن ملوك الطوائف وخاصة في مملكة غرناطة، حيث وصل واحد منهم إلى مرتبة الوزارة في دولة بني زيري الصنهاجيين[4].

و- المستعربون:

هم الأعاجم أو النصارى المعاهدون: وهم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة في ظل الدولة الإسلامية[5]، وظلوا نصارى على دينهم ولكنهم استعربوا لسانا وأسلوب حياة.[6]

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 47وص 48.
(2)- محمد سعيد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب الأندلسي، دار أسامة، د-م، 1914م، ص 19.
(3) - منى حسين محمود: المسلمون وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص 239.
(4)- حسين دويدار: المرجع السابق، ص49.
(5) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 15.
(6) - حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 318.

وكان الاسباني النصراني إذا أسلم اتخذا اسمًا عربيًا وسمى بالأسلمى أو المسلمي ثم ينشأ أولادهم أندلسيين مستعربين[1]، وكانت أعدادهم كبيرة في السنوات الأولى للفتح ثم تناقص عددهم فيما بعد، إما بإسلامهم أو هجرتهم إلى الممالك النصرانية في الشمال.[2]

فلم تكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي مما يدعوا إليه كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل... بل حمدوا للفاتحين تسامحهم وعدلهم وآثروا حكمهم على حكم الجرمان والفرنج[3]، فقد كفلت الدولة الإسلامية حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم.[4] يقول ابن القوطية في كتابه افتتاح الأندلس "وكان لهم قضاتهم كما كان بهم مطران مركزه طليطلة وحفظ العرب لهم أديرتهم وأكثر كنائسهم، غير أنه لم يطل بهم حتى استعربوا لسانا وزيا، وكان بعض رجالهم مثل ارطباس مقدّمًا في عهد الولاة يستشيرونه في كثير من الأمور، وقد ولاه عبد الرحمان القماسة أي جعله قومسا وهو الذي نصح أبا الخطار بتفريق الشاميين[5] على الكور".[6]

وكان هؤلاء النصارى أو الأعاجم يكونون طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، طبقة عليا جماعها كبار النصارى ووجهائهم، وطبقة من العامة، وقد غيّر الفاتحون الوضع الاجتماعي لهؤلاء ومكنوهم من بعض المناصب في الدولة[7]، والوظائف الحكومية[8]، ويحتفظون هم بجله وكانوا من قبل أقنان مملوكين.[9]

وفي ظل الحكم الإسلامي بالأندلس وتسامح المسلمين معهم تمتع أهل الذّمة بحماية الدولة الإسلامية لهم وضمان حرية ممارسة شعائرهم الدينية، مقابل دفع الجزية حسب القدرة المالية لكل فرد.[10]

---

(1) – حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص318.
(2) - عبد الله الزيدان: المرجع السابق، ص 165.
(3) رينهرت دوزي: المرجع السابق، ج1، ص 63.
(4) - منى محمود: المرجع السابق، ص 240.
(5) - إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1969م، ص 13
(6) - في مصطلح التقسيمات الإدارية العربية هي ما يقابل المحافظة أو المديرية في مصطلح اليوم ولكل كورة زمامها أي (مساحتها) المعروف المحدد ولها قاعدة أي عاصمة تتبعها مدن أخرى تقابل المراكز في التقسيم الحالي. راجع: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 283.
(7) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 15.
(8) - عصام الدين الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1984م، ص 100.
(9) – أحمد شحلان: المرجع السابق،ص 15.
(10) - آدم ميتر: المرجع السابق، ص 96.

3- علاقات المسلمين مع غير المسلمين ومكانة أهل الذمة في المجتمع الأندلسي:

أ- العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين:

1- التمازج العرقي:

كان فتح العرب للأندلس كغيرها من البلدان الأجنبية سببا مهما في حدوث عملية اختلاط وامتزاج كبيرة بينهم وبين سكانها من الإسبان وغيرهم، اختلاط في الأنساب والدماء، واقتباس في النظم والعادات والتقاليد، وامتزاج في العقيدة الدينية و اللغة، حيث دخل كثير من هؤلاء السكان في الإسلام وتعلموا اللغة العربية، كما فعلها كثير ممن لم يدخل في الإسلام الذين سمو بالمستعربين.[1]

وقد ساعدت عدة عوامل على حدوث هذه العملية من أهمها:

التعاليم السمحة والقيم النبيلة التي جاء بها الإسلام، أدت إلى دخول الكثيرين فيه، ثم الإختلاط بين العرب وبين أهل هذه البلاد في السكن والجوار، كما أن الفتوحات التي قام بها المسلمون في الأندلس أدت إلى دخول الكثير من العبيد والإماء في ملكهم وأصبحوا أسرى لهم،وبذلك أصبح لكل جندي منهم عددا من الرقيق يستخدمهم في قضاء حوائجه ويستولد الإماء منهم فيصرن أمهات أولادهم، ونتج عن ذلك جيل مولد له صفات مختلفة تجمع بين الجنسين، وحدثت عملية اختلاط بشرية واسعة النطاق خاصة وأن المسلمين لما دخلوا الأندلس لم يكونوا متزوجين، ومنهم من لم يصطحبوا معهم زوجاتهم، لهذا اضطروا إلى الإرتباط بعمليات المصاهرة مع الأندلسيين خاصة مع الإسبان[2]، وبلغ عدد زوجات المسلمين من بنات الإسبان في بدء الفتح ثلاثين ألف نصرانية إذ من غير المعقول أن يكون الزواج قاصرا فقط على نساء السبي أثناءالفتح.[3]

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 69.

(2) -نفسه: ص69 وص70.

(3) - خالد الجبالي: الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92-422هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة، د- ت، ص42.

ولم يهمل اليهود الدراسات العربية، وفي لغتها وتعودوا أن يكتبوا، بكتبها كانوا يثرون مكتباتهم بها ويرى مونك (Munk) اليهودي يوسف بن إسماعيل وزير باديس بن حبوس أمير غرناطة من عشاق الكتب المشهورين في اسبانيا الإسلامية.[1]

ويذكر أن عبد العزيز بن موسى بن نصير كان أول من تزوج من الإسبانيات، فقد تزوج (إيخونا) أرملة لوذريق آخر ملوك القوط تكنّى بأم عاصم وكثير من العرب مثل زياد بن النابغة التميمي الذي تزوج إحدى أميرات اسبانيا وعيسى بن مزاحم تزوج سارة القوطية بنت المند بن غيطشة[2]، "وهي أم ولديه: إبراهيم وإسحاق ثم توفي عنها في العام الذي دخل فيه عبد الرحمان بن معاوية الأندلس".[3] كما تزوج الأمير الأموي عبد الله بن محمد دوالي قرطبة من الأميرة البشكنسية ونقه أو (إنيجا) المعروفة باسم دُر.

وقد نتج عن طريق هذا الزواج المختلط جيل من المولدين نشأ على الإسلام وتعلم العربية واشتهر هذا الجيل المولد بصفات عدة منها: الجمال والذكاء والشجاعة.[4]

وتزايد المولدون مع الوقت حتى أصبحوا يشكلون الأغلبية من سكان الأندلس واحتفظ الكثير منهم بأسمائهم الاسبانية مثل: بنو أنجلين (Angelino)، وبنو شبرقة (Sabaricer)، وبنو الجريح(Jorge)، وبنو القبطرية (Kabturna)، بنو مردنيش (Martinez)، بنو غريسة (Gercia)، بنو زدلف (Zadulfo).[5]

وكان من شأن كثرة أبناء هذا الجيل المولد انتشار اللغة الرومانية اللاتينية الحديثة بين الأندلسيين ويسميها المؤرخون العرب العجمية أو اللطنية، وعن طريقهم تداخلت العربية والرومانية تداخلا كان من مظاهره نشأة فن الموشحات.

---

(1) - خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ط2،(تر): أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص 170.
(2) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 70.
(3) - ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ط2، (تح): إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989 م، ص 8.
(4) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 74.
(5) - خالد الجبالي: المرجع السابق، ص 49.

ومع أن هؤلاء المولدين كانوا يدينون الإسلام، ويتحدثون العربية غير أنهم لم يفقدوا شخصيتهم تماما باعتبارهم منحدرين من أصول اسبانية، ولم يتناسوا ثقافتهم الوطنية، لذلك تعصب الكثير منهم لأصلهم الإسباني وتحالفوا مع النصارى ضد العرب.[1]

وثار بعضهم في عدة أماكن من الأندلس مثل ثورة عمر بن حفصون في ببشتر، وقد تألفت منهم جماعات كبيرة في مدن الأندلس الهامة مثل طليطلة التي كانت أهم مراكز تجمعهم لأنها كانت عاصمة إسبانيا القديمة.[2]

2- التمازج الثقافي واللغوي:

انتشار اللغة العربية بين الإسبان:

إذا كان هناك امتزاج جسمي عن طريق الزواج المختلط فقد وجد هناك تلاقح بين اللغات والثقافات في الأندلس وتأثير متبادل منها.

فقد انتشر الإسلام بين كثير من سكان شبه الجزيرة الإيبيرية الذين سمو (بالمسالمة)، وكانوا أغلبية بالنسبة لغير المسلمين من الإسبان الذين عاشوا بجوار المسلمين وأخذوا الكثير من العادات والأساليب الإسلامية، وتعلموا اللغة العربية واستعملوا الختان، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، واتخذ الكثير منهم أسماء عربية إلى جانب أسمائهم الإسبانية، كما أتقن الكثير منهم اللغة العربية والدليل على ذلك القسيس ألفارو[3] القرطبي سنة (240هـ/854م) كتب رسالة سماها "الدليل المنير"، يدعوا فيها إلى دراسة اللغة العربية وآدابها والمذاهب الدينية للمسلمين ويقول نيكسون في أوائل القرن التاسع: "كانت اللغة العربية هي لغة الوثائق الرسمية، وفي هذا الوقت ترجم قسيس من أهل إشبيلية التوراة إلى العربية لتلاميذه."

وحسبنا أن اللغة العربية انتشرت بين هؤلاء، وظلوا يستعملونها مدة طويلة من الزمن حتى انتهاء الحكم الإسلامي بالأندلس وخير ما يؤكد ذلك أن ميقائيل بن عبد العزيز، أحد الأساقفة الذين عاشوا في فاس خلال الحقبة المرابطية وكتب بخط يده

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 77.

(2) - نفسه: ص 84.

(3) - كاتب نصراني متعصب عاش في القرن التاسع الميلادي، وغضب لإدانة القساوسة لحركة سب النصارى الإسلام. راجع: خالد عبد الحميد السيوطي: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء،الإسكندرية،2001م،ص 74.

نسخة من الإنجيل بالعربية ظلت محفوظة بخزانة الأسكوريال حدود القرن السادس عشر ميلادي قبل أن تمتد إليها يد الضياع.[1]

انتشرت اللغة العربية لأنها كانت ضرورية ليست للتكلم والقراءة بلغة الحكام الجدد وحسب، بل للكتابة بها أيضا.[2]

كما أن اللغة اللاتينية بلغت في بعض أجزاء اسبانيا درجة كبيرة من الإنحطاط، حتى أصبح من الضروري أن تترجم قوانين الكنيسة الإسبانية القديمة والإنجيل إلى العربية ليسهل استعمالها على المسيحيين، وهكذا زحزحت اللغة العربية اللاتينية عن عرشها الأول كما زحزح الإسلام المسيحية، وصارت اللغة العربية هي الرسمية ولغة العلم والثقافة والإسلام الدين الرسمي وأثّر في نشر العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.[3]

انتشار الإسبانية بين مسلمي الأندلس:

ومن الطبيعي نتيجة هذا الإختلاط الكبير بين العرب والإسبان أن يتأثر جيل المولدين بأمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم، لذا فإن اللغة الإسبانية العامية بصفة خاصة قد أخذت تنتشر بين المسلمين أيضا وهي التي يسميها العلماء الرومانية وهي لهجة لاتينية كان يستخدمها الرومان فنسبت إليهم.

ومما يدل على انتشار هذه اللغة على نطاق واسع ما ذكره ابن حزم[4] عند حديثه على بني يلي بالأندلس حيث قال: وكأنه يتعجب "وهم لا يحسنون الكلام باللطنية لكن بالعربية فقط رجالهم ونساؤهم" ويذكر آخر: أنه التقى في موسم الحج ببعض الأندلسيين فوجدهم يتكلمون لغة عربية عسيرة الفهم ولغة أخرى أعجمية.

---

(1) - ابراهيم بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د- ت، ص 115.

(2) - سلمى الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1998م، ج2، ص 909.

(3) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 81.

(4) - ولد بقرطبة (383هـ/994م)وكان أبوه وزيرا للحاجب المنصور، من أهل العلم والأدب والخير كان له في البلاغة يد قوية، شب في حياة مترفة، تحتل اثار ابن حزم العلمية مكانا هاما في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة ومن أهم هذه الكتب: الأخلاق والسير، الاستقصاء، الإمامة والسياسة، طوق الحمامة، توفي سنة 456هـ. راجع: ابن حزم: الفصل في الأهواء والملل والأهوال والنحل، د-ط ،(تح):محمد إبراهيم نصر ، دار الجيل، بيروت، ج1، ص ص 3-9.

وتعتبر الموشحات والأزجال من أهم مظاهر انتشار اللغتين العربية والإسبانية بين الأندلسيين وهي ما يسمى بالشعر الشعبي، ويعتبر هذا الفن من الشعر ثورة في عالم الشعر العربي وحركة من حركات التجديد.[1]

ولا نعدم من النصوص ما يؤكد معرفة الأندلسيين المسلمين للغة الإفرنجية فعند حديثه عن الخدع التي يقوم بها تجار الجواري ذكر السقطي أن رجلا اشترى جارية أوهم أنها إفرنجية لكي تشترى بمال كبير، وأوهمت هي كذلك المشتري بأنها إفرنجية باللغة الإفرنجية، كما أن بعض الأندلسيين حافظوا على أسمائهم النصرانية ومنهم الحسن بن فيره و فيره اسم جده وهو اسم أعجمي ومعناه الحديد.[2]

3- الخلافات والتناقضات بين مكونات المجتمع الأندلسي:

لم يكن المجتمع الأندلسي بعد الفتح مجتمعا بسيط التركيب، وإنما كان يتألف من عدة عناصر متباينة في أصولها الجنسية والثقافية، وكان هذا التعدد مظهر من مظاهر القوة والثراء، لكن يحمل في نفس الوقت بذور الضعف وأسباب التفكك والإضمحلال، وقد اختلط هؤلاء الفاتحون من عرب وبربر مع السكان الأصليين، وبالرغم من ذلك لم يكن هناك اندماج تام، فالعصبية القبلية كانت ظاهرة في المشرق وانتقلت إلى الأندلس التي تميزت بالاضطرابات والفتن والقلاقل، ونلخص هذه العوامل في:

1- عامل جغرافي: بعد الأندلس عن بلاد المسلمين في المشرق مما جعلها تحمل وحدها عبء الدفاع عن كيانها.[3]

فالأرض تقاتل وتدافع عن أهلها، ولعل هذه العبارة لم تتجسد في بقعة من العالم مثلما تجسدت على أرض إسبانيا الشمالية تلك الأرض التي لم يستطع المسلمون دخولها جميعا، بل إن هناك مناطق لم يدخلوها أصلا.[4]

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص ص 82- 84.
(2) - ابراهيم بوتشيش: المرجع السابق، ص 115.
(3) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 86وص87.
(4) - ساندة عبد الفتاح أنس سويلم: علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في اسبانيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة نابلس، فلسطين، 2001م، ص 79.

2- **عامل قومي:** فالمسلمون بالأندلس كانوا إزاء أمة مقاتلة تعتبر من أكثر شعوب أوربا تعصبا للمسيحية، وهم الإسبان الذين كان هدفهم إخراج المسلمين من الأندلس والثأر لهزائمهم منهم.

3- **عامل ديني:** هو خشية الأوربيين من الزحف الإسلامي حتى لا يسيطر على بقية أوربا فوقفوا يؤيدون الإسبان بكل قوة للدفاع عن المسيحية من ناحية وحراسة أوربا من المسلمين الغزاة من ناحية أخرى.[1]

وقد عارض كثير من العرب تحول المسيحيين للإسلام، حيث أن بقاء المسيحيين على دينهم يعني عبئا ماديا أحق على المسلمين، وحيث أن الفاتحين أقل عددا فقد وجدوا أن من الحكمة أن يمنحوا الشعوب الإسبانية حق الإحتفاظ بدينها.[2]

4- الخلاف والصراع والتنافس بين عناصر المسلمين في الأندلس وبخاصة بين العرب بعضهم البعض وبين العرب والبربر.

5- كثرة الفتن والثورات منذ الفتح والتي أشاعت الفوضى في البلاد.

6- الخلاف على ولاية العهد بين أبناء الأمراء والخلفاء بعد وفاة عبد الرحمان الداخل.

7- استعانة المسلمين المحاربين في الأندلس بأعدائهم المسيحيين الإسبان والأوربيين لقتال إخوانهم، مما جعلهم يفنون بعضهم بعضا.[3]

لذا وضع المسلمون الحدود التي يقف عندها أهل الذّمة بمقتضى عهود المسلمين لهم عند الفتح وأجمع الملأ فيهم على ما نذكر وهو أن يميز بين أهل الذّمة بشعار يخصهم فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفر، والنساء منهن بعلامات تناسبهن وأن لا يركبوا فرسًا ولا يحملوا سلاحًا، وإذا ركبوا الحمير يركبونها بغرض ويتنحون وسط الطريق ولا يرفعوا أصواتهم فوق أصوات المسلمين ولا يعلّو بنيانهم على بناء المسلمين ولا يظهروا شعائرهم ولا يضربوا بالنواقيس ولا ينصروا مسلما ولا يهودوه ولا يشتروا من الرقيق مسلما.[4]

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص77.

(2) - chapman , Charles: A history of Spain, New york, 1983, p41

(3) حسين دويدار: المرجع السابق، ص 88وص89.

(4) - عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م، ج5، ص 486.

ب- مكانة أهل الذمة في المجتمع الأندلسي:

تفاوتت درجات المعاملة الحسنة التي لقيها أهل الذمة باختلاف الخلفاء والولاة، وقد اعترف أهل الذمة لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه[1] بتسامح ولاته حين سألهم عن ذلك فقالوا: "ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكه"، وكان في وصيّة عمر عند وفاته نصيب لأهل الذّمة، فقد أوصى بأن يوفى لهم بعدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم.[2]

ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، كانت قدمهم راسخة في عدد من الصنائع التي تدر أرباحا وافرة، وكان منهم صيارفة وتجارا وأصحاب ضيّاع وأطباء وكتبة[3]، وقد تمتعوا وخاصة في العصر الأموي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان إلى عصر عبد الملك بن مروان بالحريّة الدينيّة والتسامح، حيث أن معاوية عيّن لولده يزيد مربيًا مسيحيًّا وبالتالي كلّف يزيد كاهنا مسيحيا بتثقيف ولده خالد، وهكذا تمتع أهل الذّمة أو أهل الكتاب كما يسمون في بعض المصادر العربية بنصيب كبير من الوظائف في الدولة العربية الإسلامية.[4]

وقد أيّد أحد المؤرخين هذا الرأي بقوله: "إنّ أهل الذمة احتلوا مكانة بارزة في حياة الدولة الأموية وكثر عددهم في الدواوين والمصالح"، وزاد عليه آخر بأنّ النصارى كانوا يقومون ببناء المساجد والقصور، كذلك كان لليهود نصيب من الوظائف العامة ويكفي اليهود فخرا أن سمير اليهودي قام بضرب الدراهم في خلافة عبد الملك بن مروان وأنها سميت باسمه "الدراهم السميريّة".[5] وقد انخرط الكثير منهم في الجيش، وتولّى البعض منهم أرفع المناصب في البلاط في قصور السادة العرب الأغنياء، وحقيقة أن حال النصارى في ظلّ المسلمين لم تكن شديدة الوطأة إذا هي قورنت بما

---

(1)-الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزة بن كعب بن لؤي قريشي، ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر عام، كان من أشراف قريش وسادتها حيث كان سفير قريش سمي بالفاروق بعد إسلامه وهو ثاني خلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، قتل على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي. راجع: محمد السيد الوكيل: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ط5، دار المجتمع ، 2002،ص 75 وص77وص283.

(2) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ، ص 118.

(3) - آدم متيز: المرجع السابق، ص 86.

(4) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 121.

(5) – نفسه: ص 121.

كانوا عليه من قبل[1]، حيث اتبع المسلمين في معاملاتهم المدنية والإقتصادية لأهل الذّمة مبدأ الرعاية والتساهل ويمتدح أحد المستشرقين بني أميّة لأنهم عاملوا أهل الذّمة بالحسنى، واحترموا عقائدهم وعرفهم مقابل جزيّة زهيدة تقلّ عما كان يدفعونه إلى سادتهم السابقين الفرس من ضرائب.[2]

يقول ليفي بروفنسال[3] في كتابه اسبانيا الإسلامية ق10: "إن كاتب الذمم كثيرا ما كان نصرانيّا أو يهوديّا، والوظائف مما يتقلده النصارى وقد كانوا يتصرفون للدولة في الأعمال الإدارية الحربيّة ومن اليهود من كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوربا الغربية".[4] وتجدر الإشارة إلى أن أهل الذّمة كانوا منخرطين بصورة طبيعية في المجتمع الإسلامي الأندلسي، أمّا الحالات التي اعتبرتها الإيستوغرافية الغربية نوعا من التعصب أو التشدد إنما كانت ناتجة عن محاولات قام بها أهل الذمة لتجاوز الوضعية القانونية التي ينظم في إطارها وجودهم وتحدد بها حقوقهم وواجباتهم.[5]

وقد كان لأهل الذمة مكانة رفيعة في البلاط الأموي وتبوؤا مناصب هامة مثل: أرطباس الذي عينه عبد الرحمان الداخل أول قومس للنصارى بالأندلس، وجيرون قاضي النصارى بقرطبة الذي عينه الحكم المستنصر واتخذه الى جانبه مترجما له، وحسداي بن شبروط اليهودي الذي اتخذه عبد الرحمان الناصر طبيبا له وعمل على استقبال الكثير من سفراء الدول والممالك الأجنبية[6]، وبذلك كان الأطباء في العهد الأموّي والعباسي أكثرهم مسيحيّون، وأيضا كانوا محلّ الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطبّ، فقد كان ابن أثال الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاص.[7] وكان سرجون كاتبه، ومن أشهر الأطباء الذي كانت له الحظوة عند الخلفاء

(1) - رينهرت دوزي: المرجع السابق، ص 48وص 85.
(2) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص117.
(3) - ولد عام 1894م، أديب ومستشرق فرنسي انصرف إلى الدروس الإسلامية لاسيما تاريخ الأندلس، توفي سنة 1956م. راجع: محمد جاسر: موسوعة مشاهير وشخصيات من التاريخ ، دار البرهان، القاهرة،2005م،ص 139.
(4) - مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الورّاق، بيروت، 1999م، ص 147.
(5) - عبد الله الزيدان: المرجع السابق، ص 223.
(6) - حسين دويدار : المرجع السابق، ص 128.
(7) - مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص 138.

جرجيش بن يختيشوع[1]، وكان مقربًا من الخليفة المنصور وواسع الحظوة عنده يحرص على راحته وسروره.[2]

وقد ارتبطت قضاياهم في الأمور المدنية والجنائية برؤسائهم الروحيين ما دامت القضية لم تمس المسلمين، وكانت الأديرة مراكز للعلاج من الأمراض واشتهرت بعض الأديرة بالمياه الكبريتية.

كذلك نبغ أهل الذّمة في التجارة والصناعة، وكان اليهود يحترفون الصباغة ونسج الحرير، وصناعة الزجاج وإدارة السفن، وكان الصنّاع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة من أهل الذّمة.[3]

---

(1) - رئيس أطباء المدرسة جنديسابور ومستشفاها، استقبله الخليفة المنصور لعلاجه سنة 148هـ، توفي سنة 152هـ. راجع: محمد عبد الغني جاسر: موسوعة مشاهير وشخصيات من التاريخ، ص 212.

(2) - مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص 138.

(3) - الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 113وص 114.

خاتمة الفصل:

كان أهل الذمة في العصر الأموي بمثابة طبقة اجتماعية متميزة عاشت في ظل الوجود الإسلامي ولعبت دورا هاما في تاريخها بعد ما وجدته من عدل ووفاء بالعهد وحرمة تامة للمجتمع القائم وأعرافه، وعدم تدخل في شؤونه الدينية فدخلت أفواج من أهل الذمة في الإسلام، أما الذين أرادوا الإقامة على دينهم فقد ترك لهم العرب الحرية التامة وجعلوا لهم نوعا من الاستقلال.

الفصل الثاني:

الحياة الإجتماعية لأهل الذّمة في الأندلس.

أولا: الحياة الخاصة

1- الـــــــزواج.

2- المـــــرأة.

3- الطبقات الاجتماعية.

ثانيا: الحياة العامة.

1- الطقوس الدينية.

2- الإحتفالات والأعياد.

3- العـــــــادات و التقاليد.

4- التأثيرات الإجتماعية بين المسلمين وأهل الذّمة.

مقدمة الفصل:

تمتع أهل الذمة في المجتمع الأندلسي بحياة كريمة خاصة في العهد الأموي مما يبرز ذلك أن المسلمين الفاتحين، تزاوجوا من الاسبانيات وكذلك تشارك كل من المسلمين والذميين في الأعياد وتأثروا بعاداتهم الاجتماعية في كلا الطرفين خاصة الذميين منهم، وكذلك الإسلام منح للمرأة حقوقها وكرامتها وتمازج كل من العرب والذميين في المجتمع الأندلسي، وقد شكل أهل الذمة نسبة لا بأس بها من السكان وتوزعوا في شتى أرجاء الأندلس وتأثروا بكل الفئات خاصة المسلمين في عاداتهم ولباسهم وغيرها.

أولاً: الحياة الخاصة:

1- الـــــزواج:

عرفت بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي وجود علاقات اجتماعية جديدة بين أهـــل الذمة والوافدين خاصة، فارتبطوا فيما بينهم.

تعد ظاهرة المصاهرة والزواج بين المسلمين والذميين من أهم المظاهر الاجتماعية التي ميزت العلاقة في الأندلس الإسلامية، فالمعلوم تاريخيا أن المسلمين الذين وفـــدوا إليها كجند فاتحين لم يأتوا بنسائهم معهم وأولادهم، وبعد أن تم لهم الفتح والاستقرار بدأ الفاتحون بمصاهرة سكان البلاد فاختلطوا اختلاطا كبيرا وتزوج العرب بالاسبانيات.[1]

ولم يكن ثمة تزاوج قبلا بين المسلمين وغير المسلمين وذلك لأن القانون المسيحي لم يكن يجيز للمرأة النصرانية أن تتزوج بغير النصراني، ولا كان يجـــوز للنـــصراني بحسب قانون الكنيسة أن يتزوج بغير نصرانية إلا رجاء إدخالها هـــي وأولادهـــا فـــي النصرانية مجمع (Ilibrou).[2]

أما زواج المسيحي من مسلمة حرام حسب الشريعة الإسلامية، على أنه كان في الدولة الإسلامية ما يضمن لكل ديانة من ديانات أهل الذمة كيانها الخاص، فكان لا يجوز للمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر[3]، إضافة إلى ذلك تسامح الإسلام في زواج المسلم من نساء أهل الكتاب وطبيعة الزمن التي كانت تبيح التسري والاسترقاق جعلت من هذا التزاوج أمرا طبيعيا لاسيما وأن الجيش الفاتح أمام صنف جديد من النساء، كما سمح الإسلام للرجل المسلم أن يتزوج الحرة النصرانية واليهودية في مذهب مالك، إذ هما من أهل الكتاب،[4] لقوله عز وجل: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.[5]

---

(1) - علي إسلام باشا: اسبانيا والأندلس، د- ط، المطبعة المصرية، د- م، 1951م، ص 21.

(2) - عقد ما بين 309 و 312 ق م عديدا من البنود يمنع بمقتضاها تعامل النصارى مع اليهود وكذا مخالطتهم والزواج منهم ومشاركة الطعام. راجع: أحمد شحلان: التراث العبري، ص 16.

(3) - آدم ميتز: المرجع السابق، ج1، ص 77.

(4) - خالد الجبالي: المرجع السابق، ص31 وص 63.

(5) - الآية، 5 من سورة المائدة.

وبالحديث عن الزواج لا بد من العودة إلى تقاليده في المجتمع العربي الإسلامي، ويبدأ الزواج في المجتمع العربي بالخطبة[1] ثم دفع الصداق، وقد اتبع العرب المسلمون في العصر الأموي كتاب الله وسنة رسوله "ص" في زواجهم فما غالوا في تقدير المهور ولا طلبوا من الزوج شروطا قاسية،[2] أما عن فرائضه فهي ثلاثة الولي والصداق وشاهدا عدل.[3] أما عن تقاليد الزواج عند أهل الذمة فقد كانوا يستحلون النكاح بغير الشهود أو النكاح بدون مهر أو النكاح في أثناء العدة أو نكاح المحارم[4]، أما عن شروط زواج أهل الذمة تبدأ بالشرط الروحي[5]، النفسي[6]، الصحي[7]، الشرعي[8]، ويقام في الكنيسة.

وأول من فتح باب المصاهرات بين أهل الذمة والمسلمين هو الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير، فكان أول من تزوج بنصرانية هي إيخلونا (Egilona) أرملة لوذريق والتي تدعوها المصادر الإسلامية بأم عاصم[9]، وقد تزوج الأمير الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961-976م) من أميرة بشكنسية اسمها صبح، وهي أم الخليفة هشام المؤيد بالله (366-400هـ/976-1010م)، وكان عبد الرحمان الناصر من أم ولد تسمى مزنة.[10]

وتزوج تمام بن عامر الثقفي[11] بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية وكانت بارعة الجمال، أنجب منها بنتا هي أم الوزير عيسى بن فطيس[12]، وكذلك زواج سارة

(1) - لفظ مشتق من مصدر الثلاثي خَطَبَ، واختطب القوم فلانا إذ دعوه إلى تزويج صاحبتهم، وهو أن يخطب الرجل المرأة فتركن اليه ويتفق على صداق ويتراضيا. راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص 135.
(2) - الخربوطلي: الحضارة العربية الاسلامية، ص 133 و ص135.
(3) - ابن سهل: الأحكام الكبرى، (تح): يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ص 175.
(4) - أبو الأعلى المودود: حقوق أهل الذمة، د-ط، دار المختار، د-م، 1980م، ص 20.
(5) - يشترط أن يكون الطرفان مسيحيين مؤمنين.
(6) - أن يكون الطرفان ناضجين من خلفية واحدة مثلا تعليم متقارب.
(7) - أن يكونا صحيحين عقليا.
(8) - موافقة الطرفين بدون اجبار.
(9) - المقري: نفح الطيب، ج1، ص 243 و ص 244.
(10)- حسين دويدار: المرجع السابق، ص 43.
(11) - يكنى بأبي التياني ولد سنة 184هـ ودخل الأندلس في طالعة بلج، وهو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمان الداخل توفي سنة 283هـ. راجع: ابن الابار: الحلة السيراء، ط2، (تح): حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة،1985م،ج1، ص 143.
(12) - آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، (تر): حسين مؤنس ،المكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة، د-ت، ص 603.

القوطية بنت المند بن غيطشة التي تزوجها عيسى بن مزاحم ومن نسلها المؤرخ ابن القوطية.[1]

وفي القضاء الأندلسي نجد القاضي ابن زياد يحكم لأحد المسلمين توفيت زوجته وتركت ابنتين فاختلف في حضانتهما فأفتى بأن الجدة للأم أحق بالحضانة وإن كانت نصرانية.[2]

وأحيانا كان يحدث عكس ذلك أي زواج المسيحيين بالمسلمات وقد حدث هذا في فترات الضعف من عمر الدولة الأموية، فجميلة أخت الثائر البربري محمود بن عبد الجبار[3]، قد تزوجت من أحد الحكام الذي أجبرها على التنصر وأنجبت منه ولدا أصبح فيما بعد أسقفا، كذلك زواج أرملة موسى بن فرتون بن قسي بالأمير النبري ونقه أرستا(Inga- Arista).[4]

ولم يقتصر الحال في الزواج على طبقة الحكام والأغنياء دون العامة فالناس على دين ملوكهم، فقد كانت الأندلس تزخر بالغنائم وسبايا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم ففي زمن المنصور بن أبي عامر[5] تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدرر وذلك لرخص بنات الروم فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزوهن، ولو لا ذلك لم يتزوج أحد، قيل أنه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع، فلم تساوي أكثر من عشرين دينار عامريا.[6]

2- المـــــرأة:

لقد وصلت المرأة الذمية في الأندلس إلى مكانة لم تصلها من قبل بحيث أنها عاشت حياة عبيد قبل الفتح الإسلامي استخدمهن مالكوهن للقيام بالأعمال الشاقة، وليس من الغريب إن حاول العديد منهن الهرب والتخلص من عبوديتهن الأمر الذي دفع الملك

(1) - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 4 و ص5.
(2) ابن سهل: المصدر السابق، ص 227.
(3) - من بني طريف من مصمودة احدى قبائل البربر تولى قيادتهم في ثورته ضد حكم عبد الرحمان الأوسط واتخذ من ماردة مقرا لثورته قتل في عام 225هـ. راجع: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ط5، (تح): عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ص 501.
(4) - خالد الجبالى: المرجع السابق، ص 57.
(5) - عرف بابن برطل معافري النسب وأمه تميمة اسمها فريحة، كانت مدة امارته نحو سبع وعشرين سنة وتوفي سنة 393هـ. راجع: المراكشي: المعجب، ط4،(تح): محمد زينهم ، دار القرحاني، القاهرة، 1994م، ص 45.
(6) – نفسه: ص 44

أخيكا (67-82هـ/686-701م) إلى تشريع قانون وضع بموجبه عقوبات صارمة على كل من يفشل في مطادرة العبيد وإلقاء القبض عليهم ولم يكتفي بذلك، بل وضع قوانين أخرى حرمت تحريما قاطعا الزواج بين القوط واللاتين[1] -أشرنا إليه سابقا-.

هكذا كانت المرأة في المجتمع القوطي محرومة من أبسط حقوقها الاجتماعية والإنسانية إلى أن جاء الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبرية سنة (92هـ/710م) فأمر بالرفق واللطف بها[2]، فكثرت الجواري في المجتمع الأندلسي نتيجة لكثرة الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون ضد الممالك المسيحية في اسبانيا وبلاد الفرنجة وكذلك عن طريق تجار الرقيق الذين كانوا يأتون بهم من أماكن شتى في أوربا، فامتلأت بيوت المسلمين في الأندلس بالإسبانيات وغيرهن، حيث تزوجهن الكثير من العرب والبربر وكان لبعضهم تأثير كبير على أزواجهن وأولادهن من النسل المولد من ناحية العادات والتقاليد واللغة...الخ. ومن أمثلة ذلك أيضا طروب جارية الأمير عبد الرحمان الأوسط وأم ولده عبد الله، التي وصلت إلى درجة كبيرة من النفوذ والسلطان نظرا لشغفه بها.[3]

كما يروى أنه أعطاها عقدا قيمته عشرة آلاف دينار، ولما استعظم بعض وزراءه ذلك قال: "ويحك إن لابس العقد أنفس خطرا، وأرفع قدرا، وأكرم جوهرا".[4] وفيما بلغت المرأة في اسبانيا قدر عالي من التعليم والتقدير الرفيع يمكن أن يقارن مع أكثر النساء تعليما بين الشعوب القديمة، دون تفرقة بين جنس الفتيات[5]، سواء كانت عربية أو ذمية حيث يقول ابن حزم: "فقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وهن علمنني القرآن ورويننني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط ولم يكن وكدي وإعمال ذهني منذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة إلا في تعريف أسبابهن والتحدث عن أخبارهن." ويمكن أن نستنتج أن بعض البيوتات

(1) - الدغلي: المرجع السابق، ص 26.
(2) - نفسه : ص 26.
(3) – حسين دويدار: المرجع السابق، ص 319 وص 320وص 322.
(4) - ابن الآبار: المصدر السابق ، ج1، ص116.
(5) – خوليان ريبيرا : المرجع السابق، ص 131.

كانت تستأجر النساء أو تشتري الجواري ليعملن كمربيات للأطفال ومعلمات لتثقيف الصغار.[1]

وهكذا فقد تمتعت المرأة الذمية بمكانة لم يسبق لها أن وصلت إليها من قبل فنلاحظ من هذا أنها حظيت بمركز رفيع خاصة منهم الجواري الاسبانيات عند أمراء بني أمية، كما نجد المرأة الذمية قد امتهنت إلى جانب المرأة العربية العديد من الأعمال والمهن، فمن النساء الطبيبة[2] والحجامة[3] والسرافة[4] والدلالة والماشطة والنائحة والمغنية والمعلمة والمستخفة والصناع في المغزل والنسج[5]، حتى ذكر أن عدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ست آلاف وثلاثمائة امرأة وأربع عشرة.

كما لوحظ أن أثمان الجواري كانت ترتفع لاعتبار العلم والجمال لا لإعتبار الحسب والنسب، فالعشق كان من الوسائل التي تعين الجارية على ارتفاع ثمنها، بدليل ما ذكر عن الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم الثاني (238-273هـ/852-886م) الذي كان قد عشق جارية جميلة في حياة أبيه.[6]

3- الطبقات الاجتماعية:

انقسم سكان الأندلس الذين كانوا يتألفون من عناصر متعددة الأصول وإن كانوا قد أصبحوا بالتدريج متجانسين نسبيا، إلى عدد معين من الطبقات الاجتماعية على غرار ما حدث في بقية العالم الإسلامي طبقة خاصة وتضم الأسر النبيلة الكبرى التي كثيرا ما كانت ألقابها تمنح لها بالوراثة.[7]

وسبق لنا أن ألمحنا سابقا لأهمية اليهود إبان الفتح فنال هؤلاء جزاءًا كبيرًا، فقد تقلدوا مناصب هامة في الدولة فنجد حسداي ابن إسحاق بن شبروط فقد كان مترجما للناصر ومديرًا لإدارته العامة بدولته ،كما كان يذهب في سفارات، ويستقبل السفراء القادمين الى قرطبة وهكذا استقبل سنة 944م سفارة قسطنطين الثامن الذي ورد من

(1) - ابن حزم : طوق الحمامة، د-ط، مطبعة بريل ،ليدن، 1914م ،ص 46 و ص47.
(2) - محمد الدغلي: المرجع السابق، ص45.
(3) - جاء هذا اللفظ بمعنى المرضعة وهي المرأة التي تقوم بوظيفة الرضاعة في البيوت. راجع: خالد الجبالي: الزواج المختلط، ص 46.
(4) - جاء هذا اللفظ بمعنى بائعة الحرير. راجع: نفسه ، ص 46.
(5) - ابن حزم : طوق الحمامة ، ص 32.
(6) - خالد الجبالي: المرجع السابق، ص 51وص52.
(7) – جورج كولان: المرجع السابق، ص 93.

بيزنطة واستقبل سنة 956م ممثلي أطان الأول (Otton) القادم من ألمانيا عندما نزع إلى الصلح سنة 955م.[1]

أما العامة من اليهود فقد امتهنت خياطة الثياب وظفر القيطان ونسج العقل والقلنصوات وصبغها والحجامة والدلالة في الأسواق وإصلاح النعال المخروزة[2]، وقد كانت في المدن وبخاصة في الريف جمهورا يتعرض للمضايقات الشّديدة من السلطة ولا يستطيعون في الغالب التخلص من حالة الإستعباد التي كانوا عليها.[3]

أما النصارى أو الأعاجم فقد كونوا طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، طبقة عليا جماعها كبار النصارى ووجهاءهم، وطبقة من العامة.

وقد احتل النصارى مناصب كبيرة في الدولة والجيش، مثل عمر بن قومس الذي كان كاتبا للأمير عبد الله توفي سنة 298ه، وعلى الرغم من اعتراض الفقهاء على بلوغ النصارى مناصب عليا في الدولة،[4]

فلا يكون بالأندلس وبر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة، إذ هذا الشغل نبيه يحتاج صاحبه أن يكون من عظماء الناس ووجهاءهم[5]، فإن ذوي السلطة لم يروا في الأمر بأسا، فلم يستغنوا عن كتّابهم ومقتصديهم اليهود والنصارى خلال الحكم الأموي كله، ولا شك أن هؤلاء كانوا إداريين يدبرون أمور الإقتصاد وتنظيم الدولة، فقد كان المظفر يستشير أبا الربيع النصراني في مهمات أخرى.[6]

أما الطبقة الوسطى من سكان المدن[7] فهي طبقة شعبية نصرانية من الفلاحين مهمة نسبيا في بعض القطاعات[8]، وهناك من كان من البادية اكتسب البقر والغنم واشتغل بالحرث وتربية النحل، وكان أهل الجبال منهم يغرسون النبات ويزرعون

(1) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 21.
(2) – نفسية: ص 22.
(3) – جورج كولان : المرجع السابق، ص 94.
(4) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 15.
(5) - المقري : المصدر السابق، ج1، ص 217.
(6) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 20.
(7) - مونتغمري وات: في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ط2، (تر): محمد رضا المهري، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت، 1998م، ص 66.
(8) سلمى الجيوسي: المرجع السابق، ج2، ص 972.

أشجار الفاكهة ويقطعون الخشب ويصنعون الفحم ومن ولي البحر منهم امتهن الصيد وجلب الحوت والسردين وصناعة السفن وآلاتها.[1]

وعموما فقد كان الأغنياء من اليهود والنصارى، ينامون على المطرح أو المضربة المغلقة بأجواخ مطرزة ويتوسدون مخدات من حرير أو نسيج صقيل، أما الطبقات المتوسطة فيكتفون بالكتان العادي واستعمال التليس وهو سجاد غليظ مادة الصنع ذو ألوان مختلفة واستعملت الطبقات الفقيرة الحصير.[2]

ثانيا: الحياة العامة:

1- الطقوس الدينية:

طقوس الصلاة:

لم تكن الصلاة محددة وإجبارية، بل كانت تتلى ارتجاليا حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية، وقديما كانت الصلاة بالقرابين وكانوا يصلون جلوسا ووقوفا، يركعون ويسجدون ويصومون ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا، وفي أيام الضيقة كانوا يلبسون خيشا، ويذرون ترابا ورمادا على رؤوسهم ويمزقون ثيابهم، ويحلقون شعور رؤوسهم وكانوا يحرصون على وضع الأيادي على الصدر مع حني الرأس قليلا ويقرأ الصلاة الخزان (المدب من الشعب) بصوت مرتفع والعاميدة، بصوت منخفض، ويتجهون في صلواتهم إلى جهة أورشليم ويصرفون نحوي ساعة من الزمن استعدادًا للصلاة.[3]

انقسم أهل الذمة إلى قسمين بحسب كتبهم، فأهل التوراة هم اليهود والسامرة، وأهل الإنجيل هم النصارى[4]، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾[5]، وقوله أيضا: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[6]، ويتسم مفهوم الألوهية لدى اليهود والنصارى، بالاضطراب وإضفاء الصفات البشرية

---

(1) - أحمد شحلان: المرجع السابق، ص 21.
(2) – نفسه: 40.
(3) - حسن ظاظا: الفكر الديني الاسرائيلي و أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العبرية، فلسطين، د-ت، ص 168 و ص171.
(4) ابن قدامة : المصدر السابق، ج2، ص 546.
(5)- الآية، 156 من سورة الانعام.
(6)- الآية، 3 من سورة آل عمران.

على الله تعالى حتى تكاد تختلط صفات الله تعالى بصفات الإنسان لدى القارئ للتوراة والإنجيل، فكلاهما الله والإنسان يتبادلان الحديث وجها لوجه، ويتشاجران.[1]

إذ يقول أحد المسيحيين في كتابه "أصول المسيحية": "إن المسيحية هي اليهودية بنسخة تناسب الذوق الهند الأوربي والإسلام هو اليهودية بنسخة تلاءم الذوق العربي والاختلاف بينهما تنامى انطلاقا من النقطة نفسها".[2]

1- النصـــــارى:

يقرون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام، وجماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجردا، بل يقولون بالتثليث والمجوس أيضا لا يقرون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام والنصارى فرق منهم:

أ- **أصحاب أريوس:**[3]

كان قسيسا بالإسكندرية وأول من تنصر من ملوك الروم من قوله: "التوحيد المجرد أي أن عيسى عليه السلام مخلوق".

ب- **أصحاب بوليس**[4] **الشمشاطي:**

كان بطريقا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله : "التوحيد المجرد الصحيح،وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، وأنه إنسان لا إلهية فيه".[5]

ج- **أصحاب مقدونيوس:**[6]

وكان بطريق في القسطنطينية بعد ظهور النصرانية، وكان من قول مقدونيوس: "التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق إنسان نبي، رسول الله كسائر

---

(1) -خالد السيوطي: المرجع السابق، ص 152.

(2) - اسماعيل الأمين: العرب لم يغزوا الاندلس، رياض الدين الريس للكتب والنشر، لندن، 1991م، ص 115.

(3) - هو ابن أصفانوس بن بطلينس ويلقب برشيد قومه، وكان من علماء الروم بالعزائم وله من الكتب: كتاب يذكر فيه أولاد ابليس، والاستملاكات، والأفعال وانساب الجن. راجع: ابن حزم : الفصل، ج1، ص 109.

(4) وهو بوليس القديس ولد في طرطوس بآسيا الصغرى واسمه الاصلي شاءول روماني الجنسية، نشأ نشأة يهودية وكان يضطهد المسيحيين. راجع: نفسه: ج1، ص 109.

(5) - نفسه :ج1 ، ص 109وص 110.

(6) - وهو ممن آثر بآراء أريوس وقد راق كرسي البطريركية بالقسطنطينية بعد ما نزل بولس وهو ممن يعتقدون بالتوحيد. راجع: نفسه: ج1، ص 110.

الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس، وكلمة الله عز وجل، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، خلق الله كل ذلك".

د- فرقة البربرانية:

وهم يقولون أن عيسى وأمه الهًا من دون الله عز وجل وهذه الفرقة بادت.[1]

ه- فرقة الملكانية:

التي يعرف أتباعها في عالمنا العصري بالكاثوليك أنهم يرون أن الله تعالى عن قولهم ثلاث أقاليم أب وابن وروح قدس، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله وأن الإنسان هو الذي صلب وقتل، والإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معًا شيء واحد ابن الله، تعالى الله عن كفرهم.

و- فرقة اليعقوبية:

الأرثوذكس عقيدتهم في المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى مات وصلب وقتل وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأنه كان في بطن مريم محمولاً به، وقد نزلت أية في اليعاقبة وذلك لكفرهم وشركهم،[2] في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[3]

إن هذا الكتاب الذي بين النصارى اليوم الذي يسمونه الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[4]

إذن فالكتاب الذي هو بين أيدي النصارى اليوم ليس هو الإنجيل، لأن الكتاب المنزل بحكم العرف إنما هو: عبارة عن جملة من كلام الله المبلغ عن لسان رسول من رسله يحكيها ذلك الرسول عن الله تعالى.

---

(1) - ابن حزم: الفصل، ج1، ص 110.
(2) - محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 265 وص266.
(3) - الآية، 73 من سورة المائدة.
(4) - الآيتين، 46- 47 من سورة المائدة.

وليس شيء من هذا موجود في الإنجيل حيث ذكروا فيه عدة افتراءات منها أن عيسى قال: "أنا الباب فمن دخل علي يسلم ويجد مرعى أبدا"، ثم عرض من قبله من الأنبياء، فجعلهم لصوصًا وسراقًا، فقال: آمين، آمين، أقول لكم: إني باب الضأن والقادمون عليكم كانوا لصوصًا وسراقًا، ولا يقبل اللص إلا لسرق شيئا ويقتل، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرًا".[1]

وفي الإنجيل أيضا: أنه حين رفع في الخشبة صاح صياحًا عظيما وقال: "آلي. آلي. لم عد بتاي؟". وترجمته "إلهي. إلهي. لم أسلمتني".[2]

1- اليهـــــود:

تؤمن اليهود بالتوراة كتابا منزلا من الله تعالى على موسى عليه السلام ويلحقون به أسفار أخرى تسمى جميعها "أسفار العهد القديم" وتعتبر المصدر الأول لمعتقداتهم الدينية يؤمنون بتنزهه عن كل شبه تحيط بقداسته، ويقصد بالعهد الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل، القديم أي العتيق والسفر هو الكتاب.[3]

وتتألف التوارة من خمسة أسفار تنسب إلى موسى وتوصف بأنها أنزلت عليه من الله في طور سيناء وهي سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية.[4]

وقد نزلت فيهم الآية لجهلهم بما أنزل في التوارة وتحريفه وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[5]

واليهود قد افترقوا على خمس فرق وهي:

---

(1) - أبي العباس القرطبي: حوار الأديان في الأندلس، (تح): احمد حجازي السقا، العربية للنشر والتوزيع، د-م، د-ت، ص 107وص 108.

(2) - نفسه : ص 108.

(3) - سميرة بكر بناني: جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم جوزية في دحض مفتريات اليهود، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، جامعة المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، 1997م، ص ص 256-266.

(4) - حسن ظاطا: المرجع السابق، ص ص 13- 15.

(5) - الآية ،5 من سورة الجمعة.

أ- **السّامرية:**

هم يقولون إن مدينة القدس[1] هي: نابلس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوّة كانت في بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام، ولا يقرون بالبعث البتة.

ب- **الصدوقية:**

ونسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك[2].

ج- **العنانية:**

هم أصحاب عنان الداودي اليهودي، وتسميتهم اليهود القرابين والمين، وهي المس العراس وهو تحريف وقولهم: إنهم لا يتعدون شرائع التوراة، وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام، ويتبرءون من قول الأحبار ويكذبونهم.[3]

د- **الربانية:**

وهم الأشعنية، وهم القائلون بأقوال الأحبار، ومذاهبهم وهم جمهور اليهود.

ه- **العيسوية:**

هم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني، رجل من اليهود كان بأصبهان، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم، ومحمد "ص" ويقولون: إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل ويقولون إن محمد"ص" نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام، وإلى سائر العرب.[4]

تصوّر التوراة المعرفة التي عملت فيها أيدي اليهود بنفوسهم المريضة عملها الله سبحانه وتعالى وأنبياءه بصورة لا تجدها في أي كتاب مقدس آخر، ولكن ما اكتسبت من العهر والفجور والفسق قداسة، كما اكتسبت في توراة اليهود المحرفة.[5]

---

(1) - هي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 284.

(2) - ابن حزم: الفصل، ج1، ص177.

(3) -نفسه: ج1، ص 177وص 178.

(4) – نفسه: ج1، ص 178وص 179.

(5) - ربيع الزواوي: المفدسون في الأرض من اليهود، دار الإيمان، الإسكندرية، 2002م، ص 21.

وأول دليل على أنها لم تترك على ما كانت عليه في الألواح التي كتبها الله تعالى لموسى، أنه في آخر السفر الخامس أن موسى توفي في أرض موآب بإزاء بيت فغور، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم وتوفي وعمره 120 سنة وبكي بنو إسرائيل على موسى ثلاثون يوما، وهذه الوفاة ليست مما أنزل الله على موسى عليه السلام ولا مما كتبها موسى على نفسه.[1]

1-قولهم الله تعالى يصارع يعقوب، فيهزمه يعقوب، ونوح عليه السلام يسكر ويتعرى ويهزئ! "سفر التكوين".

2- سليمان عليه السلام يعاشر ألف امرأة ثم يسجد لإلهتهن من دون الله ويشيد المعابد للأصنام! "سفر الملوك الأول".[2]

معاملة المسلمون لبيوت العبادة:

تقوم خطة الإسلام في معاملة الأمم المغلوبة على عدم التدخل في شؤونها الدينية، وبالسماح لها بممارسة عبادتها وطقوسها كما تشاء، سواء كانت تلك الأمم من أهل الكتاب أم من المجوس أم من غيرهم، وكثيرا ما كانت عقود الذمة أو الأمان تتضمن الشروط التي يتفق عليها المسلمون مع أهل الذّمة، فيما يتعلق بأمور العبادة، وكان الحكام المسلمون يحترمون تلك الشروط دائما، ويتقيدون بها وهذه الشروط هي:

* بلاد أنشأها المسلمون في الإسلام، تعتبر خالصة للمسلمين وللإسلام أن يجيز لأهل الذمة الإستقرار فيها وتبقى بيوت العبادة قائمة وإن أحدثت بيوت عبادة حديثة جاز للإمام هدمها.

* بلاد أنشأت قبل الإسلام، واستولى عليها المسلمون عنوة وقهرًا، في هذه الأرض لا يجوز للذميين إحداث بيوت عبادة لهم، وأما البيوت القائمة فيها يوم الفتح فيجوز تركها.

* بلاد أنشأت قبل الإسلام وافتتحها المسلمون صلحًا، يستطيع أهل الذمة الإحتفاظ بمعابدهم فيها، وإحداث ما شاءوا منها إذا تم الصلح معهم.[3]

---

(1) - أبي العباس القرطبي: المصدر السابق، ص 87.
(2) - ربيع الزواوي: المرجع السابق، ص 21.
(3) - أسعد حومد: المرجع السابق، ص 175.

2- الاحتفالات والأعياد:

كانت هناك أعياد دينية إسلامية شارك الأندلسيون إخوانهم المسلمين في بقية العالم الإسلامي الاحتفال بها وعلى رأسها عيدي الفطر والأضحى.

وإلى جانب الأعياد الإسلامية كانت هناك أعياد مسيحية شارك المسلمون أهل الذمة في الإحتفال بها مثل عيد الميلاد، وعيد العنصرة وخميس العهد وكانوا في هذه الأعياد يبتاعون الفواكه والإسفنج، وكانت مشاركة المسلمين لأهل الذمة في هذه الإحتفالات على أساس من نظرة الاحترام والتسامح الديني، وهناك أعياد قومية مثل عيد النيروز والعصير يحتفل به عند جني محصول العنب، وهي عادة ما زالت في اسبانيا إلى اليوم.[1]

وقد جرت عادة الأندلسيين للاحتفال بأعيادهم ومواسمهم بوسائل شتى مثل الغناء الموسيقى، الرقص وألعاب الفروسية وسباق الخيل.[2]

فتكتظ الكنائس المختلفة في هذه المناسبات بالناس من رجال ونساء يرتلون الأناشيد ويقيمون الصلاة، والجميع يرتدون أجمل حللهم وأفخرها، ومن هذه الأعياد الدينية احتفال القوم بالأسبوع المقدس، ولهذا العيد أهمية فائقة، يمثل مهرجان تاريخي ومعرض للفنون ويشترك في إحياءه الشعب جميعه لا رجال الدين وحدهم.[3]

تدفعهم جميعا الرغبة في تحية المسيح والعذراء وتستمر المواكب من يوم الثلاثاء إلى يوم الجمعة وفي منتصف الليل تفتح أبواب كنيسة سان لورنزوا[4] ويبدأ الإحتفال.

وكذلك الفريا[5] هو نوع من المواليد عظيم الشأن يحج إلى اشبيلية أثناء إقامة هذا المولد أو العيد عدد لا يحصى من مختلف انحاء اسبانيا ويستمر أسبوعا.[6]

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص ص302 -304.
(2) - نفسه : ص 309.
(3) - إسلام علي باشا: المرجع السابق، ص 65.
(4) - تقع في لاردة وهي من اشهر كنائسها بنيت بين سنة 1270م وسنة 1300 م على أنقاض هيكل روماني، ولما جاء العرب جعلوا الهيكل جامع، ولما خرجوا تحول الجامع إلى كنيسة. راجع: شكيب أرسلان: الحلل السندسية،ج2، ص 260.
(5) - أنظر ملحق رقم03.
(6) - إسلام علي باشا: المرجع السابق، ص 66.

2- أعياد النصـــــارى:

أعياد النصارى أربعة عشر عيدا منها سبعة يسمونها كبـــارا، وســـبعة يـــسمونها صغارا.

فأما الكبار هي:

أ- عيد البشـــارة:

ويعنون به بشارة غبريال، وهو عندهم جبريل عليه السلام وعلى ما يزعمون أنـــه بشّر مريم ابنة عمران بميلاد عيسى عليهما السلام، وهم يعملونه في التاسع والعشرون من طابات[1] من شهورهم.[2]

ب- عيد الزيتونة:

يعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح وهو ذكر اليوم الذي دخل فيه السيد المـــسيح مدينة القدس راكبا أتانا (أنثى الحمار) فاستقبله أهلهـــا بالترحـــاب وبأيـــديهم أغـــصان الزيتون، وفي هذا العيد تزين الكنائس بأغصان الزيتون وقلوب النخيل.[3]

ج- عيد الفصح:

وهو العيد الكبير عندهم يقولون: إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت أي الصلب بثلاثة أيام[4]، وهو عيد الربيع عند اليهود ويحيونه بمناسبة نجاة بني إسرائيل من فرعون.[5]

د- خميس الأربعين:

هو الثاني والأربعون من الفطر، يزعمون أن المسيح عليه السلام تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام، ووعدهم إرسال الفار قليط وهو روح القدس.[6]

---

(1) - أنظر ملحق رقم 04.

(2) - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، (تح): مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م،ج1 ،ص 180.

(3) - سلام محمود : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، د-ط، دار الكتب، 1991م، ص 187وص188.

(4) - النويري: المصدر السابق، ج1، ص 181.

(5) - حسن الباش: مقارنة الأديان التوراة والإنجيل، د-ط، دار قتيبة، د-م، د-ت، ج2، ص 384.

(6) - النويري: المصدر السابق، ج1، ص 181.

ه- عيد الخميس:

هو عيد العنصرة بعد خمسين يوما من عيد القيامة[1]، وفيه تخرج النساء للتفـــرج والتنزه وتجرى مباراة الخيل، وترش النساء بيوتهن بالماء ويخرجن ثيابهن إلى النـــدى بالليل.[2]

و- عيد الميـــلاد:

هو اليوم الذي ولد فيه المسيح يقولون أنه ولد في يوم الأثنين، ويجعلون الاحتفـــال عشية الأحد ليلة الميلاد.

ز- الغطـــــاس:

يعمل في الحادي عشر من طوبة من شهورهم، يزعمون أن عيسى غسل في بحيرة الأردن وأنه عليه السلام لما خرج من الماء اتصل به روح القدس، على هيئة حمامـــة، والنصارى يغمسون أولادهم في هذا الماء، ووقته شديد البرد.[3]

فأمّا الصغـــار من الأعياد:

أ- عيد الختان:

يقولون أن المسيح ختن في ذلك اليوم وهو الثامن من الميلاد.

ب- عيد الأربعون:

يعملونه في الثامن من شهر امشير من شهور النصارى، يقولون: إن سمعان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوما من ميلاده الهيكل وبارك عليه.[4]

ج- عيد خميس العهد:

يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام، وشأنهم أن يأخذوا إناء ويملؤوه ماء ويزمزمـــوا[5] عليه، ثم يغسل البطريريك[6] به أرجل جميع النـــصارى الحاضـــرين، ويزعمـــون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه في هذا اليوم يعلمهم التواضع بعضهم لبعض.

---

(1) - شيخ الربوة: نخبة العصر، د-ط، (تح) اغشطس بن يحي بطربورغ، مطبوعة الأكاديمية الإمبراطورية، د-م، 1998م، ص 281.
(2) - الونشريسي: المعيار، د-ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج11، ص 151.
(3) - النويري: المصدر السابق، ج1، ص 181.
(4) - القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913م، ج2، ص 417.
(5) - يرطنوا بكلمات غير مفهومة. راجع: النويري: نهاية الأرب، ج1، ص 182.
(6) - رئيس رؤساء الأساقفة عند النصارى. راجع: نفسه، ج1، ص 182.

د- عيد سبت النور:

وهو قبل الفصح بيوم، يقولون: إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح الكنيسة.

ه- عيد حد الحدود:

وهو بعد الفصح بثمانية أيام، يعملونه أول أحد بعد الفطر لأن الآحاد قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجددون الآلات وأثاث البيوت، ومنه يأخذون في الاستعدادات للمعاملات الأمور الدنيوية.

و- عيد التجلي:

ويعملونه في الثالث عشر من مسرى من شهورهم، وآخره السابع والعشرون منها، يقولون أن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم، وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى عليهما السلام، فأحضرهما لهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد وصعدا.[1]

ز- عيد الصليب:

وتزعم النصارى أن قسطنطين بن هيلان انتقل من اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية وبنى كنيسة القسطنطينية العظمة، وسائر كنائس الشام.[2]

2- أعياد اليهود:

أعياد اليهود التي نطقت بها توراتهم خمسة:

أ- عيد رأس السنة:

ويسمونه رأس هيشا، أي عيد رأس الشهر، وهو أول يوم من تشرين ينزل عندهم منزلة عيد الأضحية عندنا، ويقولون: أنّ الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح إسحاق ابنه عليهما السلام فيه، وفداه بذبح عظيم.[3]

---

[1] - القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص 417وص 418.
[2] - النويري: المصدر السابق، ج1، ص 181.
[3] – نفسه: ج1، ص 183.

ب- عيد صوماريا:

ويسمونه الكبور، وهو عندهم الصوم العظيم الذي يقولون إن الله تعالى فرض عليهم صومه، ومن لم يصمه قتل عندهم ومدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة ويبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرى.

ج- عيد المظلّة:

وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشري وكلها أعياد عندهم، واليوم الآخر منها يسمى عرايا أي شجر الخلاف، وهو أيضا حج لهم، ويجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون، والخلاف وسائر الشجر، ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله إياهم في التيه بالغمام.[1]

د- عيد الفطير:

ويسمونه الفصح، يكون في الخامس عشر من نيسان، وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير، وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير، لأنها عندهم الأيام التي خلص الله فيها بني إسرائيل من فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه وجعلوا يأكلون اللحم، والخبز والفطير.[2]

ه- عيد الأسابيع:

وهو خامس الأعياد الشرعية عند اليهود، ويسمى أيضا عيد العنصرة وعيد الخطاب، وهو في اليوم السادس من شهر سيوان، ويعتقد اليهود أنه في هذا اليوم خاطب الله فيه بني إسرائيل من طور سيناء مع موسى عليه السلام، كما استمعوا فيه إلى كلام الله تعالى من الوعد والوعيد.[3] وما أحدثوه اليهود زيادة على ما زعموا أن التوراة نطقت به وهو عيدان:

عيد الفوز:

وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة يهدي فيه بعضهم إلى بعض.

---

[1] - القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص 426وص 427.
[2] - النويري: المصدر السابق، ج1، ص 184.
[3] - سلام محمود: المرجع السابق، ص 208.

عيد الحنكـــــــة:

وهو ثمانية أيام، يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل بـــاب مـــن أبـــوابهم سراجا، وفي الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن يكون فـــي الليلـــة الثامنـــة ثمانيـــة سرج.[1]

أما بالنسبة لمشاركة المسلمين أعياد اليهود والنصارى فقد؛ صرح الفقهاء بأنـــه لا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعياد أهل الذمة لأنهم على منكر وزور وإذا خالط أهـــل المعروف أهل المنكر بغير الإنكار عليهم كانوا كالراضين به والمؤثرين له.[2]

3- العادات والتقاليـــــد:

ظل أهل الذمة على تأثرهم البالغ بالمسلمين في اللباس، واللسان والاسم، يمارسون حياتهم في جدّها وهزلها وفق ما تعارفوا عليه من عادات وتقاليد في المأكل والمشرب والمفرح والمأتم.[3]

ففيما يتعلق بلباسهم اشترط عليهم ما اشترطه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الجزية الذي كتبه لأهل الذمة، يؤخذون بلبس العيار، فإن كان يهوديا عمل علـــى كتفه خيطا أحمر أو أصفر[4]، واللون الأصفر أولى باليهود على رؤوسهم ليعرفوا به، وإن كان نصرانيا عمل في وسطه زنارا أي خيوطا غلاظا في أوساطهم فوق الثياب[5]، ويجب أن تكون قلانسهم مضربّة، وبأن يجعلوا أشراك نعالهم مثنية ولا يحـــذوا علـــى حذو المسلمين[6]، والواجب في لباس اليهود أن لا تكون العمامة رفيعة الثمن ولا مـــن رقيق الكتان لما في ذلك من التباهي على المسلمين، وألا يعظموا أكـــوام العمـــائم، ولا يرسلوا لها الذوائب بين أكتافهم، وألا يجعلوا لها أحناكا وهو العثنون تحت الـــذقن لأنّ ذلك من زي العرب.[7]

---

(1) - القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص427 وص428.
(2) - ابن القيم جوزية: أحكام أهل الذمة، (تح): أبي براء يوسف بن أحمد البكري ، رمادي للنشر، السعودية، 1998م، ج1، ص 1240.
(3) - حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص 132.
(4) - ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، (تح): محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م، ص 381.
(5) - ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، (تح): محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1976م، ص 95.
(6) - أبي يوسف بن يعقوب: الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1979م، ص 128.
(7) - إبراهيم بوتشيش: المرجع السابق، ص 101.

تشد المرأة الزنار تحت الإزار كالرجل، ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام[1]، ويجب أن يكون خفيّها أحدهما أبيض والآخر أسود، وإذا عبر ذمي إلى الحمام ينبغي أن يكون في عنقه صليب، أو طوق من حديد، أو نحاس، أو رصاص ليميز به عن غيره[2]، ولهم أن يلبسوا العمائم والطيلسان وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة[3]، ويباح لهم لبس الخاتم ولكن يمنعون من النقش على خواتمهم بالعربية وكانوا يتقلدون بدنانير النحاس والرصّاص أو القصدير في رقابهم.[4]

أمّا فيما يتعلق بطعام أهل الذمة، فقد كان لليهود لون خاص بهم يسمى "حجلة يهودية" ونوع آخر يسمى "لون من فروخ اليهودي"، وأما النصارى اشتهروا بأكلة "الحوت المروج" أو "صفة لون من الحوت الكبير الجرم"، وكذلك اشتهروا بذر الفلفل المسحوق على الطعام[5]، وقد تميز طعام أهل الذمة بأكل لحوم الحيوانات ذوات الأربع وكل ما له ظلف مشقوق، وليست لهم أنياب، وتحرّم عليهم لحوم الخيل والبغال والحمير لأنها ليست ذات أظلاف مشقوقة.[6]

وتحرّم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب، ولحم الأرانب وما يتصل بها من القوارض حرام لأنها ذات أظافر لا أظلاف مشقوقة، ويحرم من الطيور كل ماله منسر أي منقار معقوق، ويشترط في الحيوانات التي تذبح للأكل أن تكون سليمة من العطب والجروح وأن تذبح من منحرها بالطريقة الشرعية بشكل يقارب القواعد الإسلامية.

وممنوع على اليهودي أكل الأسماك الملساء والجمبري، حرام عندهم طبخ اللحوم في السمن أو الزبد بل يجب أن تطبخ في زيوت نباتية، ويحرم عليهم أن يتناول اليهودي اللحم والجبن أو الزبد أو اللبن في إناء واحد ولا يستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن، ويجب أن تتوفر له مجموع من الآنية والصحون تخصص للحوم فقط، ومجموع آخر يخصص للألبان.

---

(1) - ابن الأخوة: المصدر السابق، ص 96.
(2) - ابن بسام: المصدر السابق، ص 381.
(3) - ابن الأخوة: المصدر السابق، ص 95.
(4) - إبراهيم بوتشيش: المرجع السابق، ص 101.
(5) - رجب عبد الحليم: الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، د- ت، ص 439.
(6) - حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 238.

ويحرم على اليهود خلط الأنبذة أو الخمور، وبالنسبة للأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور وفيما عدا ذلك كل صيد البحر حرام.[1]

4-مظاهر التأثير والتأثر بين المسلمين وأهل الذّمة:

كانت الأندلس بعد الفتح العربي مزدحمة بالأجناس المختلفة، وكان من الطبيعي أن تتصل هذه العناصر بعضها ببعض سواء بالمصاهرة أو الجوار أو الحرب، وأن يأخذ كل منها عن الآخر ويعطيه مما كان له أثره في مزج هذه العقليات المختلفة والعناصر المتباينة.[2]

ومن أهم مظاهر هذا التأثير أن كان النصارى يزورون قبور أولياء المسلمين لنيل البركة[3]، ومن شدة تأثر المسيحيين بالمسلمين ومراعاة لشعورهم كانوا يختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير[4]، وكانت أسماؤهم في غالبها أسماء عربية، كما تلقب بعض المسلمين بألقاب النصارى فهناك الأديب أبو جعفر بن عبد الله كان يعرف بابن شانجة، وكانوا يستمعون إلى موسيقى المسلمين وينتفعون بخير ما في الثقافة الإسلامية دون أدنى لوم أو حرج، وقد اخذوا عن المسلمين الكرم وحسن الخلق وتخلصوا من همجيتهم بفضل اتصالهم بالمسلمين واقتباسهم منهم طباعهم النبيلة، التي منها مراعاة النساء والشيوخ والأطفال واحترام العهود والوفاء بالوعود، ولين الطباع ودقة العواطف.[5]

حتى قال بعض مؤرخي النصارى و متدينيهم: "أنه يشك في أن المسيحية كانت تستطيع وحدها أن تأتي بمثل ذلك التأثير مهما بولغ في كرمها وتأثيرها فلم يكن المسلم مدمرا أو مخربا، وإنما كان مبدعا منشئا للمدن والقصور والبساتين، رغم أصله البدوي القاسي إلا أنه كان يحب اللين والترف ويستطرف الجمال في شتى صوره ويستطيب الحياة الناعمة".[6]

---

(1) – حسن ظاظا: المرجع السابق ، ص 239.
(2) - أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د-ت، ص 106.
(3) - ساندة عبد الفتاح: المرجع السابق، ص 433.
(4) - مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص 148 و ص 133.
(5) - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 433.
(6) - نفسه : ص 433.

كانت بعض الكنائس تفتح أبوابها للمارة من النصارى والمسلمين على حد سواء وتقدم لهم الطعام والشراب، ولم يتحرج بعض المسلمين من المبيت فيها.[1]

أما الأعياد والإحتفال فكان معروفا عن مسلمي الأندلس، أنهم كانوا يحتفلوا بالأعياد غير الإسلامية خاصة أنها تأتي في نفس الفصل من السنة لأنها تتبع التقويم الشمسي[2]، فقد كانت هذه الأعياد فرصة طيبة لنزهة المسلمين وخاصة أن الأديرة كانت تحفل بالحدائق والبساتين[3]، من أمثلة ذلك إحتفالهم بعيد الغطاس احتفالا كبيرا حيث كانت القوارب تزخر بآلاف من النصارى والمسلمين.[4]

بالإضافة إلى مشاركتهم في احتفالاتهم الدينية مثل: عيد المسيح وعيد العنصرة أو عيد سوان خوان، ولا شك أن هذه المشاركة الروحية ترجع إلى الحياة المشتركة التي عاشها الطرفان جنبا إلى جنب قرونا طويلة[5]، وكان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم.[6]

وكان هناك ميل نصارى إلى أغاني العرب وموسيقاهم، كطريقة العزف المعروفة عند الموسيقيين باسم (Zambra) بالعربية (زمر) أثناء العزف ومقاطعتهم له بصياحهم (Ole Ole) ومعناها الله...الله لا زالت هذه باقية تدل على ما كان يحدث أيام المسلمين، حتى أن كلمة ياليل (leli leli) أخذها الإسبان عن مسلمي الأندلس، وكان هناك شعر أندلسي سمي بالزجل وهو نفسه خليط من العربية والاسبانية.[7]

وقد وجدت أسر مختلطة فيها مسلمون ونصارى كبني المنّد أخي غيطشة، فقد كان حليفا للمسلمين وتوفي عن ولدين وبنت.[8]

وقد تأثر المسلمين بلباس النصارى حيث أصبحوا يرتدون الدروع، ويقتنون سيوف "بوردو".[9]وتركوا العمائم وصاروا يرتدون الكمة الهندية، وقلدوهم في اتخاذ الفرش

(1) - ساندة عبد الفتاح: المرجع السابق، ص 133.
(2) - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 437.
(3) - الخربوطلي: المرجع السابق، ص 172.
(4) - مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص 144.
(5) - ابراهيم بوتشيش: المرجع السابق، ص 113.
(6) - آدم ميتز: المرجع السابق: ج1، ص 87.
(7) - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 435.
(8) - حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 527.
(9) - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 439.

المستخدمة للجلوس، وقد انتقلت عادة الشرب إلى المسلمين والاستغراق فيها من مجاورتهم واختلاطهم، سواء بنصارى المستعربين أو بنصارى الشمال الاسباني.[1]

وقد انتقلت الى المطبخ المسيحي العديد من الأكلات عن المطبخ الأندلسي.[2]

[1] – رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص 438 وص439.
[2] - ساندة عبد الفتاح: المرجع السابق، ص 140.

خاتمة الفصل:

يتضح أن الحياة الاجتماعية التي عاشها أهل الذمة في الأندلس والتي شهدوا فيها الكثير من التسامح من طرف المسلمين والإحترام مما شجعهم على اعتناق الإسلام والتأثر بأخلاق المسلمين الكريمة الفاضلة والتي هي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك حرية المعتقد التي أتيحت لهم في ظل المجتمع الإسلامي، فتحولهم إلى الدين الإسلامي كان بمحض إرادتهم ففتح المسلمون لإسبانيا كان رحمة ونورا على أهل الذمة فقد قضى على القوط، بعد أن كانوا موضع اضطهاد، ومن خلال نظرة الإسلام السمحة إلى الأديان الأخرى سهل تعايش المسلمين وأهل الذمة وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

[1] – الآية، 62 من سورة البقرة.

الفصل الثالث:

الحياة العلمية لأهل الذّمة في الأنـدلس.

أولا: العلم والتعليم عند أهل الذمة.

1- تعلم اللغة العربية.

2- التعليم بين أهل الذمة.

ثانيا: أشهر العلماء من أهل الذّمة وانجازاتهم العلمية.

1- الطب.

2- الترجمة.

3- الأدب.

4- الفلسفة.

مقدمة الفصل:

كان لروح التسامح الذي شمل به الإسلام رعايا دولته من نصارى ويهود، معطياته وآثاره في جميع مجالات الحياة في الأندلس، ومنها المجال العلمي فقد أتيح لكافة الذميين من هؤلاء وأولئك أن ينهلوا ويعلوا من علوم المسلمين ومعارفهم وكان من مظاهر ذلك ما حصوله من دراية بالعربية ولغتها وأساليبها، أهلت بعضهم للكتابة والتأليف والتصنيف فظهر منهم المترجمون والأطباء، والمؤلفون هؤلاء الذين كانت لهم مكانتهم الخاصة في البلاط الملكي.

أولا: العلم والتعليم عند أهل الذمة:

1-تعلم اللغة العربية:

اعتمدت الدراسات اللغوية في الأندلس بادئ الأمر على مصنفات علماء المشرق أمثال سيبويه والكسائي وأبو على القالي[1]، ثم ظهر إنتاج علماء الأندلس في النحو منذ عصر بني أمية.[2]

ويطلق لفظ أدب عند العرب على المعارف التي من شأنها أن ترفع مستوى الثقافة الذهنية وتؤدي إلى تحسين سلوك الناس في اجتماع بعضهم إلى بعض، ثم تطور مفهوم الأدب مع مضي الزمن، فصار يطلق على الكتب التي تجمع المتفرقات والأشتات، وتعرض من المعارف أطراف من كل فن، وتكثر فيها الحكايات التاريخية والأقاصيص والنوادر والبراعات الذهنية.[3]

كان انتشار اللغة العربية في البلاد إحدى الدعامات التي قامت عليها النهضة العلمية في البلاد، حتى غدت اللغة الرسمية في مكتباتها، فكانت لغة التعليم في المؤسسات المختلفة.[4]

أما في مجال اللغة والنحو فقد أنشأت أول مدرسة منظمة في الأندلس بعد وفود أبي علي القالي على بلاد الأندلس سنة (350هـ/961م) حيث أخذ يقرئ "كتاب الأمالي" وتتخذ نصوصه مجالا لتعليم اللغة والنحو، وأول من أدخل كتاب الكسائي الكوفي في علم اللغة والنحو الأندلسي هو جودي بن عثمان الطليطلي المتوفي سنة (198هـ/754م).[5] ثم شرحه مفرج بن مالك النحوي المعروف بالبغل من أهل قرطبة يكنى أبا حسن نحويا لغويا، عالمًا بمعاني الشعر وكان منسوبا إلى الصلاح والعفاف.[6]

---

(1) - صاحب الأمالي والنوادر، وفد إلى الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمان. راجع: المقري، نفح الطيب، ج5، ص 70.

(2) - عبد عزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، د-ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1984م ص 180.

(3) - آنخل بالنشا: المرجع السابق، ص 169.

(4) - حامد الشافعي: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 35.

(5) - سامية مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300هـ-399هـ/912م-1008م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية ،2000م،ص108.

(6) - ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ط2، مكتبة الناشر الخانجي، القاهرة، 1988م، ج2، ص 140.

قد أقبل معظم أهل الذّمة على تعلم اللغة العربية، مما أدى إلى التقارب بينهم وبين العرب المسلمين وسائر أهالي الأمصار المفتوحة واللغة ليست كلمات أو حروف، بل هي تعبير وشعور ووحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الثقافة، وأدى تعميم استخدامها في هذه الأمصار إلى اندماج سائر الأجناس على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية إذ ربطت اللغة العربية جميع البلاد برباط معنوي، كما أن أهل الأمصار قد أصبحوا شعبا إسلاميًا فإنهم كانوا يزدادون إسلامية كلما اقتربت لغتهم من لغة القرآن، إقبال أهل الذمة على تعلم اللغة العربية وإتقانها رغبة في قراءة القرآن، دستور الدولة الإسلامية وتولي المناصب كما كانت رحمة العرب الفاتحين بأهل الذمة وتسامحهم معهم من العوامل التي شجعتهم على إتقان اللغة العربية والتمسك بنظمها، والأمر الذي جعل أهل الذمة يتعلمونها هو أن العرب في نشر لغتهم ساروا على نفس المنهاج الذي ساروا عليه في نشر دينهم، فلم يحارب العرب لغات البلاد الأصلية على رسوخها فيها[1]، كما بهر الأدب العربي الكثيرين من أصحاب الذوق الرفيع فاجتذبهم إليه حتى نسو الأدب اللاتيني وانصرفوا للكتابة بلغة الفاتحين دون سواها انصرافا وتناسى المسيحيون كل شيء حتى لغتهم، وقلّما تجد واحد في الألف من بينهم يستطيع تحرير خطاب باللاتينية الصحيحة.[2]

كما أن غلبة اللغة العربية كانت بالإختيار لا بسلطان الحكومة وتسامح العرب أدى إلى انتشارها ، إذ أن العرب لم يعتمد على قوة السلاح كالجرمان والمغول، وكان أهل الذمة مضطرين إلى تعلم اللغة العربية، فقد كانوا يتصلون بالعرب المسلمين في شؤون الزراعة و الصناعة و التجارة، كما أدى تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع بين أهل الذمة، فقد كان عليهم إتقان هذه اللغة حتى يحتفظوا بوظائفهم.[3]

---

[1]- الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، ص 114وص 115.
[2] - رينهرت دوزي: المرجع السابق، ج1، ص 85.
[3]- الخربوطلي : الإسلام وأهل الذمة، ص 115.

وكان إقبال النصارى واليهود على اقتناء الكتاب العربي والاحتفاء منه قراءة وتمثلا ونقلا، وهذا ما تبلور لنا جانبا منه وقد نهى المسلمين عن بيع الكتب لليهود والنصارى بسبب أنهم يترجمونها وينسبونها لأحبارهم وأساقفتهم.[1]

ويقول ألبر القرطبي بهذا الشأن: "من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين بديننا على دراسة الكتب المقدسة، أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها، ممن كتبوا في اللغة اللاتينية؟. ومن منهم يدرس الإنجيل أو "الأنبياء" أو "الرسل" إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبا باللغة العربية، يبحثون عن كتبها ويقتنونها، يدرسونها في شغف، يعلقون عليها، ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة يا للحزن!، مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم، وينسون لغتهم نفسها، لأن الفصاحة العربية تسكرهم".[2]

وظلت اللغة العربية وحدها لسانا لهم، مثل قبائل يلي الذين يسكنون شمالي قرطبة أي أنهم أهل الأرياف، فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة إلى عهود متأخرة فكانت العربية العامية شائعة في المدن.[3]

أما في مجال الأدب والشعر فقد ازدهر ازدهارًا عظيمًا في كلّ الأندلس ولم تبدأ الحركة الأدبية نشاطها الحقيقي إلا منذ أن دخل الأمير عبد الرحمان الداخل بن معاوية الأندلس وكان لجمال الطبيعة دور في الأشعار التي ألفها شعرائهم.[4]

ونكاد نكون متأكدين في الوقت الحاضر بأن مسلمين إسبانيا كانوا في جميع عصور الإحتلال يعدون من بينهم نسبة مؤوية هامة نسبيا تتكلم لغتين معا وتستعمل بلا تمييز العربية والرومانية.[5]

وإذا ألقينا نظرة على اصطلاحات التنظيم المدني والعسكري لدى اسبانيا فإننا نكشف فيها عددًا ضخما من المفردات ذات الأصل العربي ففي مراتب الجيش يطلق

(1) - الوراكلي: المرجع السابق، ص 33.
(2) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 115وص 116.
(3) - ألبير مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، الجامعة الأمريكية، لبنان، 1965م، ص 18.
(4) - سامية مسعد: المرجع السابق، ص209.
(5) - ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس،(تر):ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د-ت، ص 87.

على رتبة الملازم حتى الآن (Alféres) وهي الكلمة العربية الفارس والمقدمة في الإسبانية (Atalaya) وهي كلمة العربية المقدمة ، والمؤخرة هي (Zaya) وهي الكلمة العربية الساقة.[1]

فلما فتح العرب الأندلس، وأسلم من أهلها أناس كثيرون استعربوا اسمًا وفعلا، ومنهم من لم يدخل الإسلام واستعرب وهو باقي على نصرانيته، وأكثر ما تجلى في هذا الوضع مدينة طليطلة حيث كان النصارى فيها يشبهون نصارى المشرق باستعمال كثير من العربية في صلواتهم وطقوسهم الدينية، وقد بدلوا أسمائهم الإسبانية القديمة بأسماء عربية كأسماء المسلمين.[2]

وابتداء من هشام بن عبد الرحمان، وكانت لغة الحديث في القصر والشعر وشؤون الأسواق والأسر، كانت مزاجا للعربية الفصحى والعامية لغة الدولة والدين والأدب والعلم والرسميات، وقد صاحب هذه الثنائية الثقافية الشعب الأندلسي على طول تاريخه.[3]

وقد بلغ من اهتمام هشام باللغة العربية أن جعلها لغة الكنيسة، لنصارى الأندلس فترجموا إليها الكتاب المقدس ونصوص الصلوات.[4]

2- التعليم بين أهل الذمة:

كان النشاط الفكري عند أهل الذمة في الأندلس متأثرا بالتراث الروماني وصارت اللغة اللاتينية لغتهم لكن الحياة الفكرية لم تزدهر والدليل هو تأثرهم بالنهضة الفكرية التي قامت بفرنسا لكنها كانت كلها مجرد تقليد عدا تنظيم التعليم وتقويمه في الأسقفيات والأديرة وأصبحت الأديرة بوجه خاص مركزا للنشاط العلمي والثقافي في اسبانيا خاصة وأوربا عامة[5]، أما مواد تعليمها فتقوم على تلقين الناس الأناشيد الدينية وتعلمهم القراءة وعد الأرقام فقط.[6]

---

(1) – ليفي بروفنسال: المرجع السابق ، ص 89.
(2) - شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج1، ص 377.
(3) - حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ج1، ص 53.
(4) - نفسه : ج1، ص 61.
(5) - منى محمود: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص 245.
(6) - انخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 533.

وبدخول المسلمين الأندلس فقد عرف تطور ملحوظ في الجانب الفكري، حيث اهتم حكام البيت الأموي بالتعلم والتعليم خاصة مع سياسة التسامح الديني والسياسي، فقد كان العلماء من مختلف الأعراف والأديان يتعاونون تعاونا وثيقا في هذا المجال مما أدى إلى شيوع التعليم بين سكان الأندلس على اختلاف عقائدهم وتنوع مللهم حتى وأنه أصبح شاملا لمختلف الأجناس الذكور والإناث[1]، وكان الأمراء والخلفاء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الأقطار ويغدقون عليهم العطاء والهبات، ما كان له الأثر المحمود في إقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار.[2]

وجذبت بلاد الأندلس في أوج ازدهارها آلاف من اليهود والمسيحيين إليها فقد توافد الطلبة من كل أنحاء الدنيا على بلاد الأندلس، وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها خاصة أيام حكم الأمويين، وقد كان التعليم في المدارس الأندلسية الأولى في مسجد اشبيلية الذي أسسه عبد العزيز بن موسى بن نصير ومسجد قرطبة.[3]

كما كان قد اتخذ قرارا بتعميم اللغة العربية في معاهد غير المسلمين، وجعلها لغة التدريس في معاهدهم، فقد قال يولوجيوس[4]: "لقد نسي النصارى لغتهم ومن العسير أن نجد واحدا منهم في كل ألف يكتب حرفا لاتينيا كتابة سائغة، وهم مع هذا يستطيعون أن ينظموا شعرا عربيا رائعا". وفي الحق أن النصارى وجدوا في قصص العربية وشعرها متعة ألهمتهم عما كتبه آباء الكنيسة وكانوا يندرجون إلى الاستعراب ويقتربون من العرب شيئا فشيئا، حتى أصبحوا أعظم مدينة وأتم صقلا وأكثر تهاونا بالفروق الدينية.[5]

لقد ساهم الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس خلال الحكم الأموي في إنشاء هذه المدارس والمعاهد في مختلف أرجاء البلاد، ففي عام (354هـ/965م) أنشأ الخليفة الحكم المستنصر (350هـ-366هـ/ 961م-976م) في العاصمة قرطبة

(1) - خوان فيرنيت: فضل الأندلس على ثقافة الغرب، (تر): نهاد رضا، دار اشبيلية، سوريا ، 1997م، ص 62.
(2) - جودة هلال ومحمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية، مصر، 1986م، ص 78.
(3) - هونكة زيغرد: شمس العرب تسطع على الغرب، ط8،(تر): فاروق بيضون ، دار الجيل، بيروت، 1999م، ص 500 وص241.
(4) - وهو قسيس ينتمي إلى أسرة عريقة بقرطبة اشتهر بحماسته الدينية، فقد قضى سنوات في الصوم والصلوات والإنابة وتعذيب النفس حتى وصل إلى حال من الذهول. راجع: لين بول ستانلي: قصة العرب في اسبانيا، (تر): علي الخارم بك، مطبعة المعارف، مصر، 1944م، ص 8 وص9.
(5) – نفسه: ص 83.

وأرباضها أكثر من ست وعشرين مدرسة خاصة لتعليم الفقراء وجعل التعليم فيها مجانيا وعلى نفقته الخاصة.[1] وأدى التسامح الكبير الذي أبداه الخليفة الحكم المستنصر تجاه اليهودي حسداي بن شبروط الذائع الصيت الذي كان يحضر مجالسه أن بدأت الدراسات التلموذية في اسبانيا على يد هذا الأخير، فهو أول من فتح لأهل الذمة في الأندلس خاصة –اليهود– منهم باب علمهم في الفقه والتاريخ وغير ذلك، وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين، يتعرفون به مداخيل تاريخهم، ومبادئ سننهم،[2] فلما اتصل حسداي بالحكم –المستنصر– ونال عنده الحظوة، توصل به إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا يجهلونه، واستغنوا عما كانوا يتحشمونه والكلفة فيه.[3]

ولقد قدّم حسداي يد العون والمساعدة إلى اليهودي ابن حانوك[4]، ومدرسته فلم تلبث أن أنجبت أعلام الأدب العبري رجالا مثل مناحيم بن سروق الطرطوشي ودناش بن لبراط البغدادي، ممن افتتحوا عصر الازدهار للشعر العبري الحديث[5]، الذي نشأ ونما بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم بل كان بعض علماء الأندلس يعينون اليهود على نحو لغتهم ولقد استعرب اليهود منذ زمن مبكر، فأخذوا لغة العرب،[6] وألفوا بها مصنفاتهم العلمية وكتبوا بها منشآتهم الأدبية، ولا ريب في أن تمكنهم من اللغة العربية ومعرفة بعضهم بلغات أخرى، فضلا عن لغتهم العبرية كالقشتالية والقطلونية، مما جعل مساهمتهم في حركة الترجمة بالأندلس ملحوظة ومرموقة.[7]

---

(1)- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر:أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي عصري الإمارة والخلافة،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،اليرموك ،الأردن،1999م،ص127 .

(2) - ابن ابي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مكتبة الحياة، لبنان، د-ت، ص 448وص 449.

(3) – نفسه : ص 449.

(4) - هو الحاخام موسى بن حانوك عضو الأكاديمية التلموذية الشهيرة بمدينة سور (sura) أسره المسلمون في احدى معاركهم وبيع في مزاد علني في سوق قرطبة بصفته عبدا، حيث افتكته الطائفة اليهودية وجعلته من وجهائها. راجع: فيرنيت: فضل الأندلس، ص 63.

(5) - آنخل بالنثيا : المرجع السابق، ص 489.

(6) - حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 544.

(7) - حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص 20.

كما نجد أثر العرب عند كتّاب النصارى أعمق وأوسع مدى، فنجد في كتاباتهم تعبق بالعربية روحًا وفكرًا.[1]

ثانيا: أشهر العلماء من أهل الذمة وجهودهم في الحركة العلمية:

كان هناك من يعيش من غير المسلمين في الدولة الإسلامية ويشارك في الحياة العلمية والفكرية برعاية الخلفاء والأمراء في شتى العلوم وخاصة ما حصّلوه من دراية بالعربية.[2]

1- الطب:

أ- حسداي بن شبروط:

اتخذه الخليفة عبد الرحمان الناصر طبيبًا خاصا له وغدا من أصحاب النفوذ والثراء في عهد المستنصر[3]، كان يجيد الحديث بلسان النصارى إجادة تامة، كما كان في الوقت ذاته طبيبا عظيما وسياسيا محنكا، وكان الجميع يثنون على آرائه ومواهبه وفطنته ومقدرته البالغة[4]، ذاعت شهرته حتى أن شانجة ملك ليون الذي كان يلقب بالسمين نظرا لسمنته الزائدة التي كانت سببا في خلعه عن كرسي العرش فطلب من الناصر أن يرسل له طبيبًا لعلاجه فأرسل له الطبيب حسداي الذي نجح في تخفيف وزنه، ثم صار سفيرا ووزيرا[5] للخليفة عبد الرحمان الثالث.

واستغلّ حظوته عند الحكم وتوصل من ذلك إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق ففتح بذلك يهود الأندلس باب علمهم من الفقه والتاريخ وغيرها[6]، وقد برع حسداي كذلك في الدراسات التلموذية.[7]

---

(1) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 27.
(2) - الوراكلي: المرجع السابق، ص13وص17.
(3) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 128.
(4) - رينهرت دوزي: المرجع السابق، ص 53.
(5) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 444 وص445.
(6) - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 60.
(7) - شاكر مصطفى: المرجع السابق، ص 73.

ب- جواد الطبيب النصراني: (207-272هـ/822-886م)

كان في أيام الأمير محمد وله اللعوق[1] المنسوب إلى جواد، ولـه دواء الراهـب والـشرابات والـسفوفات المنـسوبة إليـه وإلـى حمـدين بـن أبـان.[2]

ج- إسحاق الطبيب النصراني: والد يحي بن إسحاق وزير عبد الرحمـان الناصـر، استفاد من منصبه ومنصب ابنه فأدخل الكتب الطبية من المشرق، كما استجلب الكتـب من جميع العلوم، وشجع الحركة الطبية فكثر الأطباء المشهورين.

د- منجم بن الفوال:

كان متقدما في صناعة الطب متصرفا في علم المنطق وسائر علوم الفلسفة، وقـد ألف كتبا منها "كتاب كنز المقل على طريق المسألة والجواب"، وقد ضمّنه جملا مـن قوانين المنطق وأصول الطبيعة.[3]

هـ- أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي:

الذي اعتنى فضلا عن اهتمامه بالطب وبالعلوم والمعارف برع فـي علـم العـدد والهندسة وعلم النجوم وأتقن علم المنطق، كما اشتغل بالعلم الطبيعي وتوفي بعد سـنة (458هـ)، كما انصب اهتمامه على البحث في كتب أرسطو لا سيما "الطبيعة" وكتاب "السماء والعالم".[4]

و- حمدين بن أبان:

كن في أيام محمد بن عبد الرحمان كان طبيبا حاذقا مجربا، وكان صهر بني خالـد وله بقرطبة أصول ومكاسب، وكان لا يركب الدّواب إلا من نتاجه ولا يأكـل إلا مـن زرعه ولا يلبس إلا من كتّان صنعته.[5]

---

(1) - دواء خليط من أدوية عدة حسب الحاجة ممزوجة بسكر أو عسل. راجع: ابن جلجل: طبقات الأطباء، ط2، (تح): فؤاد رشيد، مؤسسة الرسالة، مصر، 1985م، ص93.

(2) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق،461.

(3) - سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والاندلس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986م، ص 266.

(4) -نفسه: ص 268.

(5) – آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 462.

ي- يحي بن إسحاق:

طبيب الأمير عبد الله بن محمد والذي أصبح وزير للناصر فيما بعد، وله مؤلفاته في الطب[1]، حيث ألف كناشا من خمسة أسفار على مذهب الروم يسمى (الأبرشيم).[2]

2- الترجمـــــــة:

أ- زيد بن الأسقف:

هو ربيع الأسقف وهو الأسقف ريكيموندو الذي يسميه مؤلفو العرب ربيع بن زيد الأسقف كان في خدمة عبد الرحمان الناصر كانت له علاقة موصولة[3] بيوحنا أسقف جورتر[4]، كان قاضي النصارى بقرطبة ومترجما في بلاط الحكم المستنصر[5]، وهو من أهم الشخصيات العلمية في الأندلس و من كبار رجال الدّين النصارى، عيّنه المستنصر أسقفا لمدينة ألبيرة مقابل جهوده الجليلة في خدمة الدولة الأموية،[6] ألف كتاب "تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان".[7]

ب- حسداي بن شبـــروط:

سبق لنا وأن عرفنا بشخصية حسداي كطبيب كانت له أيضا جهود في مجال الترجمة، كانت له مشاركة في بعض ما ترجم من اللغتين في بلاط الخليفة،[8] حيث أنه في عهد عبد الرحمان الثالث (الناصر) قام إمبراطور بيزنطي[9] بإرسال هدية وهي عبارة عن نسخة من كتاب "ديمقوريدوس"[10]، وهو كتاب "الحشائش والنباتات" أو كتاب "الأدوية المفردة"، فقام حسداي بن شبروط بترجمة هذا الكتاب من اليونانية إلى اللاتينية[11]، كان له دور كبير في الترجمة، حيث كان يتقن العبرية والقشتالية واللاتينية

---

(1) - حسين دويدار: المرجع السابق، ص 443.
(2) - الوراكلي: المرجع السابق، ص 24.
(3) - أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 487.
(4) - هو أسقف يوحنا اسقف مدينة جورشه بألمانيا. راجع: آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 487.
(5) - الوراكلي : المرجع السابق، ص 18.
(6) - آنخل بالثنيا: المرجع السابق، ص 487.
(7) - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 60.
(8) - الوراكلي: المرجع السابق، ص 25.
(9) - سالم يفوت: المرجع السابق، ص 260.
(10) - هو طبيب وعشاب يوناني ولد في بلدة عين زربة قرب طرسوس جنوب آسيا الصغرى عاش في القرن الاول ميلادي واشتهر بكتاباته عن مركبات الأدوية من الاعشاب ظل كتابه "الأدوية المفردة" أعظم مرشد لخواص الاعشاب الطبية. راجع: حسين دويدار: المجتمع الأندلسي، ص 433.
(11) - سالم يفوت: المرجع السابق، ص 260.

واليونانية، لهذا اتخذه الخليفة سفيرا ووزيرا[1]، حيث زوده بتعاليمه ثم أذن له في الشخوص إلى بلاط السفارة، وكان الخليفة موفقا كل التوفيق في اختياره لحسداي لما كان يجمعه في شخصه من كل الصفات التي تؤهله لهذه المهمة فقد كان يجيد الحديث بلسان النصارى إجادة تامة.[2]

3- الأدب:

من خلال كتب الأوربيين علمنا أن اللغة العربية بقيت لغة الثقافة عن الإسبانيون ولغة المعاملات والأخذ والعطاء وبها كتبت النصوص والعقود إلى سنة 1570م فعند ذلك صدر الأمر من الدول الإسبانية بمنع الكتابة والكلام بالعربية.[3]

أ- يهوذا ابن ليقي الطليطلي:

يهوذا هاليقي الذي يكنيه العرب بأبي الحسن فقد نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية، وقد ألف رسالته المسماة "الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل" في عربية بليغة ولدينا نسخة منها في مكتبة أكسفورد.[4]

ب- إسماعيل ابن يوسف ابن نغزالة اليهودي:

من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل آمره إلى أن استوزره باديس ابن حبوس ملك غرناطة فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعاره وموشحات يغني بها، فآل أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة ومن شعره الذي ينظم فيه القرآن لقوله:

نقشت في الخدّ سطرًا من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[5]

ابنه يوسف: كان صغيرا لما قتل أبوه بغرناطة وصلب في نهر سنجل فهرب إلى افريقية، وكتب هناك إلى أهل غرناطة شعره المشهور:

---

(1) - ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص 103.
(2) - رينهرت دوزي: المرجع السابق، ص 53.
(3) - محمد الدغلي: المرجع السابق، ص 38.
(4) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 499.
(5) - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ط4،(تح): شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ج2، ص114وعبد الحكيم الوائلي: موسوعة شعراء الأندلس، د- ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000م، ص 330وص331.

اقتيلا بسنجل ليس تخشى حشر جسم وقد سمعت النصيحا [1]

وابن نغزالة وزير صاحب غرناطة.[2]

ج- يهوذا بن داود:

الذي يسميه بعض كتاب اليهود فيما خلّفوه من كتب حربية: أبا زكريا بن داود الفارسي المنبور بحيّوج وهو تلميذ مناجم، وقد وضع نحوه هذا باللغة الاتينة، ولهذا السبب لم يكن له صدى إلا بين يهود الاندلس.[3]

د- ابن جناح:

(384ه-441هـ/995-1050م)، أهم كتبه المسمى بالتنقيح بلغة العرب، ويعرف ابن جناح بين المسلمين بأبي الوليد مروان بن جناح، أما النصارى عرفوه باسم يونا (يونس) ومرينوس، وإليه يرجع الفضل في نشوء علم النحو في اللغة العبرية، وهو المعروف في مصطلح علماء يهود الأندلس "بجمل النحو عبراني".[4]

4- الفلسفة[5]:

أ- بحيا بن يوسف بن قاقوذا:

وهو فيلسوف يهودي عاصر ابن جبرول وسماه الناس توماس دي كمبس اليهودي.[6] اطلع بحيا على آراء فلاسفة مسلمين وتأثر ببعضها بصورة واضحة، فمن خلال كتابه "الهداية إلى فرائض القلوب" اقتبس بحيا أفكار كثيرة[7] من كتاب "الحكمة في مخلوقات الله" للإمام أبي حامد الغزالي[8]، ونقل العديد من أرائه ومعتقداته الخاصة في الأخلاق والتصوف.[9]

---

(1) - ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 115

(2) - إحسان عباس : المرجع السابق، ص 281.

(3) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 489.

(4) – نفسه: ص 489.

(5) - مكونة من مقطعين فيلوس ومعناها في اليونانية محب سوفيا معناها الحكمة فمعنى فيلسوف محب الحكمة والفلسفة وليدة نظرة العقل البشري إلى الوجود في أصله وجوهره ومصيره وتطلع العقل إلى إدراك المبادئ الأولى فيه . راجع: الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص369.

(6) – آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 494.

(7) - أنظر الملحق رقم5.

(8) - كانت ولادته في سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة احدى وخمسين بالطبران وتوفي سنة خمس وخمسمائة، الفقيه الشافعي لم يكن في آخر عصره مثله، اما من مصنفاته فمنها كتاب احياء علوم الدين وهومن أجل الكتب وأعظمها حتى قيل فيه انه لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لأغنى عما ذهب. راجع: الصفدي :الوافي بالوفيات، (تح): أحمد الأرناؤوط ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج1، ص ص211-213.

(9) - آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص 497.

نتـــــــــائج الدراســـــــــــــــة:

بعد أن استعرضنا دور الذميين في مجتمع الأندلسي وأجبنا على جملة مـــن تـــساؤلات حول مكانتهم الاجتماعية ومدى مساهمتهم الفكرية والعلمية في الحـــضارة الاســـلامية خلصنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

1- الخروج بتعريف شامل عن أهل الذمة وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى و كل من اتخذ شريعة سماوية.

2- حرص الإسلام على الرفق بأهل الذمة وضمان مكانة لهم داخل المجتمع الأندلسي، وهذا أكبر دليل على سماحة الدين الإسلامي التي إلتزم بها الفاتحون العرب .

3- بمجرد أن يتم كتاب عقد الذمة يصبح للذمي حقوقا وترتب عليه واجبات.

4- من مشروعية العقد ترك منازعة غير المسلمين والتعامل معهم مقابل دفع الجزيـــة التي هي ضريبة موضوعة على أهل الكتاب.

5- تميزت علاقة المسلمين مع أهل الذمة بالتسامح الديني وقامت على العدل والمساواة وكان من نتائج هذه العلاقة حدوث تمازج ثقافي ولغوي بين مختلف عناصر المجتمـــع الأندلسي.

6- تولدت في المجتمع الأندلسي العديد من العلاقات الاجتماعية الخاصة بين الـــذميين والمسلمين كعلاقة المصاهرة مثلا.

7- حرر الإسلام المرأة الذمية من العبودية فكرمها، مما جعلها تتمتع بدرجة كبيرة من النفوذ والسلطان خاصة بعد أن تزوجهنّ الكثير من العرب والبربر.

8- تنوعت واختلفت طبقات أهل الذمة بين الخاصة التي امتلكت الثروة والنفوذ والعامة التي امتهنت العديد من الحرف والصناعات.

9- أبقى أهل الذمة على شعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم ومارسوها في جو من الحرية والتسامح كاحتفالاتهم بأعيادهم الرسمية أو مناسباتهم الخاصة.

10- برزت ظاهرة ازدواجية اللغة نتيجة ظهور تيار الاستعراب بين أهل الذمة والذي كان سببه تأثرهم –أهل الذمة- بالفكر والثقافة العربية هذا ما أدّى لشيوع اللغة العربية.

11- اشتهر العديد من علماء أهل الذمة في الأندلس وبرزوا في مختلف المجالات كالطب والفلسفة والترجمة والأدب وكان لهم دور كبير في تطورهم.

12- ازدهرت العلوم والمعارف وتنوعت في الأندلس خلال العصر الأموي، فكانت عامل جذب لأهل الذمة فسعوا إلى ترجمة المؤلفات العربية إلى لغتهم والاطلاع عليها للاستفادة منها.

13- ساهم العديد من الذميين بتطور حركة الترجمة من والى اللغة العربية كترجمتهم لبعض الكتب الطبية مثل كتاب "كتاب الأدوية".

خاتمـــــــــة:

في ختام هذه الدراسة التي تطلعنا من خلالها إلى رسم صورة عـن أهـل الذمـة وأحوالهم الاجتماعية في المجتمع الأندلسي في العصر الأمـوي، ومـدى مـساهمتهم العلمية والفكرية، وجدنا انه موضوع متشعب يصعب استكماله والإحاطة بكل جوانبـه، ولقد حاولنا جاهدين تسليط الضوء قدر الإمكان على هذه الفئة من المجتمع الأندلـسي، وقد أكدت الدراسة أن أهل الذمة عاشوا حياة طبيعية وتمتعوا بكامـل حقـوقهم، وأدوا واجباتهم وكان لهم دورهم الاجتماعي والثقافي في ظل التسامح الديني الذي شملت بـه الدولة الأموية في الأندلس جميع رعاياها، حيث فتحت لهم جميع الأبواب وسمحت لـم بولوج كافة المجالات التي تكفلها الشريعة الإسلامية لأهل الذمة، فقد تفاوت الاهتمـام بهم باختلاف الخلفاء الأمويين حيث ضم بلاطهم عددا كبيرا من أهل الذمـة وشـغلوا مناصب هامة فكان منهم الأطباء والمترجمون، السفراء والكتاب ، كمـا أن التعـايش السلمي بين المسلمين وأهل الذمة في مجتمع واحد، وتنوع العلاقات بينهما كـان مـن نتائجه ظهور تأثيرات اجتماعية متبادلة بين كلا الطرفين وحدوث تمازج لغوي بينهما، وهذا ما يدحض كافة الدراسات الغربية التي تحاول إبراز أهل الذمة كفئـة مـضطهدة دينيا وثقافيا واجتماعيا.

وبعد هذه الدراسة لا داعي أن نؤكد أن غير المسلمين القاطنين في الأندلس لم يكن لهم ضامن لأمنهم وسلامتهم ورفاهيتهم أقوى، غير الدولة الاسـلامية الأمويـة فـي الأندلس، حيث قضى الوجود الاسلامي في الأندلس على تلك السلسلة البغيـضة مـن الظلم والجور التي قامت في شبه الجزيرة الإبيرية قبله.

وبهذه الملاحظات ينتهي عملنا الذي نتمنى أن نكون قد وفقنا فيه وإذا كان فيه شيء من النقص والقصور، فإننا نلتمس سعة الصدر والتوجيه فيما عسى أن يكون مثارا للنقد أو الإعتراض واللّه نسأل أن يوفقنـا إلـى كـل مـا فيـه خيـر وسـداد وهـدى.

أحمد 13, 19, 21, 22, 24, 26, 36, 41, 42, 43, 56, 58, 78
عبد الرحمان..14, 18, 24, 26, 29, 31, 32, 34, 38, 39, 41, 62, 65, 69, 70, 71, 72, 73
عمر بن الخطاب 32, 56
ح2 ب5 29
ح2 محمود..... 56
مسعد..... 62, 65
مصر 13, 17, 25, 52, 56, 66, 67, 70
مكة 12, 47
الأندلس .9, 12, 13, 14, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 35, 36, 38, 39, 41, 46, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 64, 65, 66, 67, 68, 70, 71, 72, 74, 75, 76, 80, 81
البصرة 21
الجزائر 16
الحمام 57
الزواوي 49
الزيتونة 51
السعودية..... 12, 47, 56
السلمي 81
الشام 17, 18, 22, 54
العاصمة 67
العربي 9, 10, 13, 14, 18, 23, 30, 37, 44, 58, 63, 64, 65, 66, 70, 77, 78
القاهرة. 10, 13, 14, 23, 24, 26, 33, 37, 38, 46, 53, 57, 62, 63, 66, 71, 72, 74
ألمانيا 41
المغرب الأقصى 75
بغداد 68

صدوق 48
غرناطة.....23, 26, 74, 76
بن داود..... 74
خلدون 32
دمشق 19
سوريا 17, 66
فاس 28
فرنسا 17